

ومنشأ نحلتهم

بقلم العلامة المحقق الاستاذ

أحمد تيمور باشا

رحمه الله

« الطبعة الثانية »

القاهرة — ١٣٥٢

المطبعة السلفية ومكتبتها

لصاحبهما محب الدين الخطيب

اليزيدية

ومنشأ نحلتهم

بقلم العلامة المحقق الاستاذ

أحمد تيمور باشا

رحمه الله

« الطبعة الثانية »

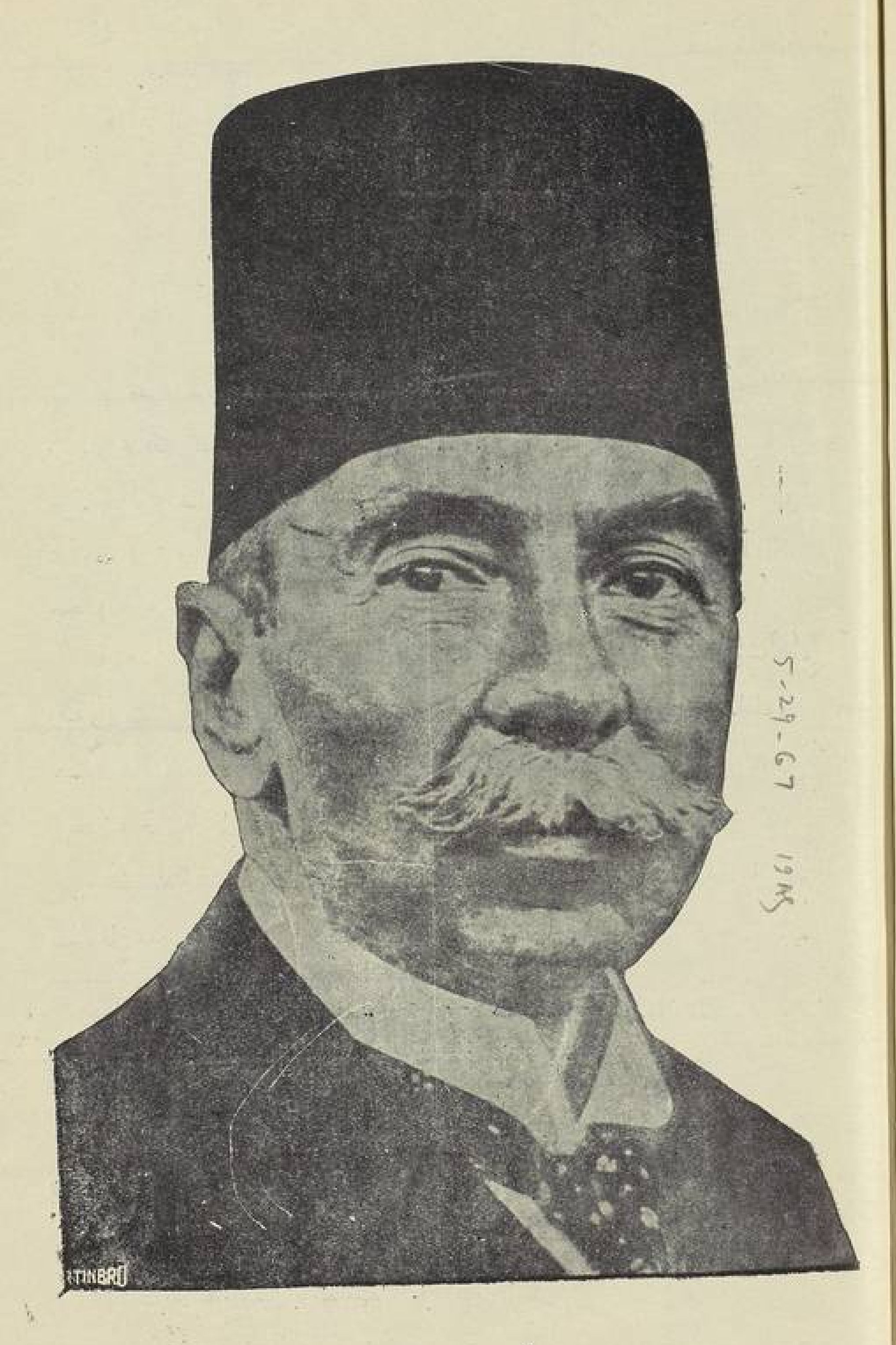
القاهرة — ١٣٥٢

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبهما محب الدين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



أحمد تيمور باشا

فقيد العربية والاسلام

أحمد تيمور باشا

١٢٨٨ — ١٣٤٨ﻫ

على مقربة من المكتب الذى تصدرُ منه مجلتنا ومطبوعاتنا ، وبعدَ خُطوات من دار مُحافظة القاهرة وقصرِ محكمة الاستئناف يرَى السائرُ فى درب سعادة الى حيِّ الحزاوى ساحةً مترامية الاطراف واسعة الاكناف كان يقوم عليها قبلَ نحو ربع قرن قصرٌ من أعظم قصور القاهرة لأسرةٍ من أكرم أسَرِها وأعظمها جاهاً وأعزِّها مكانة

فى هذا القصر وُلد فقيدُ العربية والاسلام العلامةُ المحقق أحمد تيمور باشا[1] ، وفيه وُلدت من قبل أختهُ الشاعرة الشهيرة السيدة عائشة تيمور ؛ وفى هذا القصر نَظمت عائشة تيمور قصائدها وأبدعت فرائدها ، وفيه رضع أخوها أحمدُ أفاويقَ الفضيلة وحُبَّ الكمال ؛ ومن باب هذا القصر كان يدخل اليه المعلمون الذين جيء بهم خاصة لتثقيفه وتقويم بيانه[2] ومن هذا القصر كان يخرج أحمد فى أيام صباه الى مدرسة مارسيل الفرنسية يتلقى اللغات ومبادئ العلوم[3] ، ومن باب

---

(١) كانت ولادته رحمه الله فى ٢٢ شعبان سنة ١٢٨٨ ﻫ وسماه والده يوم ولادته (أحمد توفيق) ولهذا قالت اخته السيدة عائشة فى تاريخه من أبيات :

قالت لوالده الشقيقة حبذا ... حيامصابيح البنات شقيق

فاهنأ بمولود بدا تاريخه ... وبه المنى بشراك بالتوفيق

(٢) بدأ رحمه الله دراسته فى داره ، فتلقى فيها مبادىء العربية والفرنسية والتركية وشيئاً من الفارسية . وقالت اخته السيدة عائشة عند ابتدائه فى القراءة — وكان الى ذلك الحين لا يزال يسمى أحمد توفيق : —

لاح السعود وأسفر التوفيق ... وتلالنا سور العلا توفيق

(٣) كانت مدرسة مارسيل يومئذ معهداً لتعليم أبناء الاعيان

هذا القصر كان يختلف الى علاّمة مصر المرحوم الشيخ حسن الطويل ليتوسع في العلوم العربية والاسلامية ، وتحت سقف إحدى قاعاته وضع الخزانة الاولى للمائة الاولى من كتب مكتبته التي صارت فيما بعد من أعظم خزائن الكتب في الشرق وأغناها وأجودها انتقاء واختيارا

ذلك القصر هو قصر اسماعيل باشا تيمور ، عين أعيان القاهرة ورئيس ديوان عزيز مصرَ (اسماعيل) ، وقد انتقل الى رحمة ربه وابنُه فقيد اليوم لايزال في مهد الطفولة غير متجاوز سن الرضاع فنشأ يتيماً تحوطه من والدته وأخته عيون العناية والرعاية ، حتى اذا ترعرع تولّت اخته عائشةُ تنميةَ مواهبه وتربيةَ مداركه وأعانَتْه على توجيه حياته في طريق العلم والادب والفضائل

حدّثني العالم الجليل الاستاذ السيد محمد الببلاوي نقيب السادة الاشراف في القاهرة قال : عرفتُ فقيدنا وهو في الثامنة عشرة ، وكنتُ أكبر منه سناً ثم اتّصلَت الصداقة بيننا الى يوم وفاته ، فعرفته مثال الرزانة والكمال منذ درَج الى أن فارق الدنيا

أدوار حيـــاته

تنقسم حياة هذا الرجل العظيم الى ثلاثة أدوار :

الدور الاول — من نشأته الاولى الى السنوات التي توفيت فيها عقيلته[1] (١٣١٧ هـ) وأخته (١٧ صفر ١٣٢٠ هـ) ووالدته (٢٩ صفر ١٣٢٠ هـ)

الدور الثاني — من سنة ١٣٢٠ الى أن ظهرت في مصر والشرق الاسلامي حركات العدوان على الاسلام

---

(١) السيدة خديجة هانم كريمة المرحوم أحمد رشيد باشا ناظر الداخلية ، وكان صديق والده الحميم وكان بناؤه عليها سنة ١٣٠٧ وعاشت معه عشر سنين فرزق منها اولاده الثلاثة اسماعيل بك ومحمد بك ومحمود بك ومع أن وفاتها وهو في التاسعة والعشرين من عمره فانه لم يتزوج بعدها وانقطع للعلم بكل قواه

والدور الثالث — السنوات الاخيرة من حياته

يرجع أصل الاسرة التيمورية الى الوطن الذى أنبت صلاح الدين الايوبى وكثيراً من عظماء الاسلام . وأول من وفد منهم على مصر المرحوم تيمور كاشف من رجال دولة محمد على باشا الكبير ، وكان من قادة الجيش ورجال الادارة ، وتولى ولاية الشرقية (مديرية الشرقية الآن) وكانت المكاتبات دائرة دائمة بينه وبين عزيز مصر وابنه ابراهيم وسائر رجال الدولة . وفى دار الكتب التيمورية مجموعة نفيسة من هذه المراسلات سيأتى الكلام عليها

ومن عظماء هذا البيت ابنه محمد بك تيمور ، وحفيدُه اسماعيل باشا تيمور والد فقيدنا العظيم . ومع أن آباءه كانوا على صلة بالدولة ومناصبها فان المغفور له أحمد باشا لم تتوجه نفسه الى وظائف الحكومة بعد اتمام دراسته ، فانصرف عنها جملة واكتفى بمشارفة ضياعه ومسامرة كُتُبِه وإعادة النظر فيما بدأ فيه من العلوم العربية والفنون الادبية . فتوسعَّ فيهما على أستاذه الاول الشيخ رضوان محمد المخللاتى ، أحد أفاضل العصر . ثم صحب علاّمة المنقول والمعقول الشيخ حسناً الطويل فأعاد عليه الصرف والمنطق والبلاغة وغيرها . وقرأ عليه طرفا من الفلسفة القديمة . ولم يزل معه كتلميذ خاصّ ، الى أن توفاه الله سنة ١٣١٧ هـ وهى السنة التى رُزِئ فيها بعقيلته الفاضلة المصون ، فكان هذا وذاك من أعظم ماأزعجه وآلم نفسه الحسّاسة اللطيفة الشعور

كان أحمد تيمور فى الدور الاول من حياته يعيش فى جوّ تهبُّ فيه نسمات الحياء والمعرفة والبهجة ، وكان يصطفى لنفسه من العُشَراء من يجد فيهم هذه الصفات دون غيرها : فاذا اكتشف فى نفس الفتى من فتيان القاهرة الحياء الذى يشفُّ عَن الفضائل ، والادبَ الذى يدلُّ على حبّ المعرفة ، والبهجةَ التى كانت متعته من الحياة ، اصطفاه أخاً صديقاً ، وضمه الى حَلْقةٍ من اخوان له كانوا يتردَّدون على قصر اسماعيل باشا تيمور فى درب سعادة ، فتكون لهم فيه مجالس

أدبٍ نزيه ومحاضرة فى العلم وفكاهة حلوة تتمُّ بها بهجة الحياة

وكانت حلقة أحمد تيمور باشا فى ذلك الدور من أدوار حياته تزدان أحياناً بالأعلام العظماء أمثال محمود سامى باشا البارودى واسماعيل صبرى باشا ، بل كان لمنزل درب سعادة حظ من دروس ألقاها فيه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بطلب من الفقيد الكريم

وكان الفقيد فى حياته البيتية والزوجية فى أهنأ عيش وأسعده ، وكان فى نفسه أكرمَ ربّ أسرة عرفته البيوت . واذا كان للسعادة أجنحة ترفرف بها على المنازل فى هذه الحياة فقد كانت بلا ريب مبسوطة الجناحين على قصر درب سعادة أيام كان يعمره فقيدنا العظيم وعقيلته وأخته وأمه و بنوه فى أول عهدهم بالحياة

كان همُّ ابن اسماعيل تيمور فى هذه الحقبة من حياته السعيدة أن يزداد علماً وأن يوسع دائرة معارفه ، وأن يقف على ماضى الاسلام وعلوم أعلامه وأحوال أوطانه ، فكانت خزانة كتبه تنمو فى كل يوم ، وكان لايدخل الكتابُ خزانته حتى يتصفحه ويقفَ على أغراض مؤلفه ويتأمل مافيه من الحقائق وينتقل بمداركه الى الآفاق التى تجول فيها بحوث ذلك الكتاب ، وبعدئذ يضعه فى مكانه من خزانته وقد علم ما يمكن أن ينتفع به من فصول هذا الكتاب عند الحاجة اليه .

واذا انتقل من بين كتبه فى قصر أبيه الى بين يدى أستاذه الشيخ حسن الطويل كان موضع عجب الاستاذ واعجابه لما يبدو من أدبه وكماله وسرعة ادراكه مع تنزه عن الغرور واغتباط بالرقة والتواضع ودقة فى حلاوة المنطق بحيث لايجرى لسانه الا بما يسرُّ سامعه من أستاذ أو زميل . فاذا جاء الى حلقة إخوانه من أهل الفضل الذين يختلفون اليه فى درب سعادة كان بهجة المجلس وسراجه الوهاج مع الرزانة التى لاتفارقه والكمال الذى فطر عليه فى جميع الاحوال

لكنَّ فَقْد زوجه وأستاذه نغصا عليه عيشه وأثرا فى مجرى حياته ، فآلى على نفسه أن لايَرْزأ أولاده بعد أمهم بمن لايجدون عندها مثل عطف أمهم التى

كانت من أفضل النساء وأكرمهن وأحسنهن تهذيباً . وأما المكان الذى كان تيمور باشا يراه خالياً بفقد الشيخ حسن الطويل فكان حريصاً على أن يجد له من يملأه ليسلوَ بدراسة العلم الفراغ الذى تركته عقيلته فى منزل أبنائها

فى تلك السنوات هبط الشنقيطى الكبير ـ محمد محمود التركزى ـ مدينة القاهرة ، فصحبه فقيدنا العظيم وكان ألزم الناس له ، وأكثرهم استفادة من علمه وكان الشنقيطى من ضيق الصدر وشذوذ الاخلاق بالدرجة التى لا يطيقها أحد ، فأراد أحمد تيمور أن يأخذ علم الشنقيطى مهما كلفه ذلك من حلم وصبر ، وغلب حلمُ تيمور باشا شذوذَ الشنقيطى فلازمه ملازمة عجيبة زمناً طويلا ، وقرأ عليه المعلقات السبع روايةً ودراية ، وكثيراً من دواوين العرب التى كان يرويها ، وبعض الرسائل اللغوية ، واستفاد منه فوائد جمة صرفته الى الاشتغال باللغة بعد أن كان مقتصرا على الادب والتاريخ ، حتى صار تيمور باشا ـ باجتهاده الشخصى وبتلقيه عن المرحوم الشنقيطى ـ عَلَم الاعلام فى أسرار العربيّة والاحاطة بعلومها ومعرفة القديم من كتب أئمتها ، ولم يزل مُصاحباً للعلّامة الشنقيطى حتى توفى قبل غروب يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ

وفى الثانية والثلاثين من حياة تيمور باشا عظَّم الله أجره بفقد أخته الاديبة الشهيرة ، ثم بفقد والدته التقية المصون ، وكان ذلك فى شهر واحد (صفر ١٣٢٠) فكان لهذا الزلزال أثره العظيم فى حياة فقيدنا ، لكنه تلقاه بالصبر والرضا ، وعاش من ذلك الحين عيشة الانفراد والتبتل والانقطاع الى العلم بما لا نعهده فى أحد من المعاصرين

وفى بداية الدور الثانى من أدوار حياة المرحوم أحمد تيمور باشا انتقل الى القاهرة العلّامة المحقق الكبير الشيخ طاهر الجزائرى رحمة الله عليه ، فتعرّف الفقيد به وبالاستاذ السيد محمد كرد على ـ وزير المعارف السورية الآن ـ وكان له منهما ومن سائر أصدقائه المشتغلين بالعلم والادب سلوى تخفف أحزانه

وكان فى تلك السنوات قد تحوّل الى منزله فى الحلمية الجديدة ، وتنقل بمكتبته بينه و بين منزل آخر فى عين شمس و بين عزبته فى قويسنا وذهبية له فى النيل صار يسكنها فى أشهر الصيف من كل عام ، الى أن أنشأ فى السنوات الاخيرة دارا جديدة لخزانة كتبه فى الزمالك ونقل اليها مكتبته وعاش فيها بين المحابر والاقلام عيشة التحقيق والتأليف والمجاهدة والعبادة ، لا يصرف وقته الا فيما يؤيد العربية والاسلام من علم وعمل ؛ وعلى ذلك كان الفقيد فى الدور الثالث من حياته

كان جميع همه مصروفا الى الخطر الاعظم الذى يتهدد المسلمين فى حياتهم الاجتماعية ، والخُلقية ، والدينية ، والسياسية ؛ وكان يرى هذا الخطر آتياً على أيدى المسلمين أنفسهم سلباً أو ايجاباً [1] وأعجب ما فى الامر أنهم يرتكبون هذه الجريمة باسم الاصلاح . وكان موقف تيمور باشا بين هذا الخطر و بين ما يترتب فيه على المسلم من واجب المقاومة موقفا دقيقا . لان فقيدنا العظيم مصاب بمرض القلب ، وتتناوبه نوباته المخيفة بين حين وآخر حتى لقد يئسنا من نجاته أكثر من مرّة . وهو فوق ذلك عصبىّ المزاج ، دقيق الاحساس سريع التأثّر ، فكان يعانى ألماً شديدا من جرّاء هذا الموقف بين الخطر الذى يراه بعينه ، و بين ما يعتقده من وجوب خوض المعركة لدرئه . لذلك آلى على نفسه أن يشجع كل دعوة للذبّ عن بيضة العربية والاسلام . وأن يعين كل مقاومة يراد بها صد التيار العدائى المنصبّ عليهما . ومع ما فطر عليه من دماثة وأدب عالٍ ، فانه كان يحبّ لله ، و يبغض لله ، و يواصل لله ، ويقاطع لله ، لا تأخذه فى ذلك لومة لائم

أراد نور الدين بك مصطفى قبل وفاته بسنة أن يجمع أعيان المصريين الذين

---

(١) اى بجمود المشايخ وعجزهم عن اخذ دفة السفينة بايديهم ، او بعدوان ادعياء التجديد الكاذب وتطوعهم لتنفيذ خطط اوربا الاستعمارية من الوجهة الفكرية ، وفيهم من يفعل ذلك عن علم وفيهم المسوقون وراء هؤلاء عن غفلة أو جهل

يرجعون الى أصل غير عربى – من أرنؤوط وجركس وكردوترك – بجمعية سمّاها (الجمعية التورانية) ولم يكن يعلم متانة التربية الاسلامية التى نشأ عليها فقيدنا العظيم أحمد تيمور باشا ، فعرض عليه أن يدخل فى هذه الجمعية ، فابتسم الباشا رحمه الله ابتسامة شفت عن ألم عميق وقال له :

— أنا يا حضرة البك عضو فى جامعة المسلمين فلا أنتقل منها الى ما يخالفها . وفضلا عن ذلك فانى ولدت عربى اللسان وتأدبت بأدب القرآن ، وكان الزمخشرى قد حمد الله على مثل هذه النعمة فلست لا كفر نعمةً أنعم الله بها علىّ ورآنى أهلا لها . وان جامعة الاسلام تصدق على الذين تريدون أن تؤلفوا منهم الجمعية التورانية وتجعلوها عنوانا غير صادق عليهم ، لان الارنؤوطى ليس بتورانى والجركسى ليس بتورانى ، وكلهم مسلمون ، وكلهم نشأوا فى مصر عربا مسلمين ، وأكثرهم لا يعرف غير العربية

وبلغ به الامر رحمه الله أن صار يشكّ فى حال كل من يسمى حركة الكماليين وسفاسفَ أمان الله اصلاحا ، ويقاطع الصحف التى تفعل ذلك ويبرأ من الجمعيات ذات الوجهين ، كما فعل فى استقالته من الرابطة الشرقية على أثر فتنة كتاب الاسلام وأصول الحكم

وكان رحمه الله سلفىّ العقيدة معتدلا فى كل أموره بعيدا عن الغلوّ ، محترما لرجال السلف مؤمنا بوجوب التأليف بين قلوب أهل القبلة ، وكذبٌ محض مازعمته صحيفة أسبوعية مصوّرة مما ينافى هذا فانخدعت به مجلةٌ حلبية . فان هذا الزعم مدسوس من رجل سيء النية الى حامل قلم لا يفهم ما يقال له

مؤلفاته

أخذ تيمور باشا علمه عن رجال من أهل الامانة والتحقيق ، فنشأ أميناً على

العلم دقيقاً فى أخذه ونشره . فهو لا يضيف الى علمه علماً الا بعد التثبت الذى تلازمه طمأنينة الايمان ، ولا يجرى قلمه أو يتحرك لسانه بحقيقة من حقائق العلم الا وهو يرى أن الاجيال الآتية واقفة له بالمرصاد تنقد ماينقله اليها من معرفة . لذلك كانت كتاباته كلها ممحَّصة محرَّرة متحرًى فيها وجه الصواب فى أبعد الغايات وأقربها

ولم يكن لتيمور باشا من عمل فى هذه الحياة غير المطالعة والازدياد من العلم . وكانت الفنون التى أنس بها وتفرغ لها وأحاط بحقائقها هى التاريخ الاسلامى العربى والمصرى ، والجغرافيا الاسلامية والعربية والمصرية ، والخطط المصرية ، وفنون الحضارة والعمران فى الاسلام ، وعلوم العربية : اللغة والصرف والنحو والبلاغة . وكان فى ذلك عَلَمَ الاعلام ومرجع الخاص والعام ، ويكاد يكون أعلم من عرفناهم بعلوم العربية : بأساليبها الاولى على عهد الخليل وسيبويه وأبى على وابن جنى ، وبطرائق المتأخرين الى زمن الحواشى ، بحيث لم نجد فى علماء الازهر من يدانيه فى معرفه طرائق المتأخرين فضلا عن أساليب المتقدمين

وكان فى أثناء المطالعة كلما وقع على حقيقة علمية طريفة ــ مما كان يتمنى أن يقف عليه ولم يكن له سبيل الى العثور عليه بالبحث والتنقيب ــ يقيد تلك الحقيقة العلمية ليجمع اليها نظائرها فيما بعد ويستعين بذلك على التأليف فى الفنون التى هى من اختصاصه . فاجتمع عنده من ثمرات هذه المطالعة ما لو استمدَّت منه المجلات لكان مادة ثمينة لها فى الفنون التى أشرتُ اليها

وكان كلما اجتمع عنده من هذه التقييدات المقدار الكافى لتحرير كتاب فى موضوع ما يبدأ حينئذ بالاستعداد لهذا الكتاب بما لا نعلم نظيراً له عند المشتغلين بالتأليف

مثال ذلك عنايته ــ فى موضوع المدنية والعمران عند العرب والمسلمين ــ بفن من فنون ذلك وأعنى به (التصوير عند العرب) ، فكان فى أثناء مطالعته كلما وجد حقيقة تاريخية في هذا الباب قيدها أو أشار الى موضعها . الى أن اجتمع عنده عن

التصوير عند العرب ما يملأ كتابا ، فأخذ هذه المواد ورتبها وصنفها أصنافاً وشرع فى تحقيقها وتبين صحتها والبحث عما يؤيدها ، الى أن صار عنده كتاب فى هذا الموضوع بلغ غاية الغايات

وكان يقيد عنده ـ مثلا ـ كل ما يعثر عليه أثناء المطالعة عن (لعب العرب) حتى اذا اجتمع لديه المقدار الكبير من ذلك أخذ فى تحقيقه واستكماله وجعل منه كتاباً . واليك أهم مؤلفاته :

﴿ معجم اللغة العامية ﴾ هو معجم مرتب على الحروف أحاط فيه باللغة العامية المصرية ، وأشار الى ما عرفه من غيرها أيضاً ، بل كان يقتنى الكتب القديمة التى تقع فيها ألفاظ عامية ويضيف هذه الالفاظ الى معجمه مع تفسيرها وبيان مايقابلها فى الفصحى ، وهذا هو الغرض الاول من هذا العمل ، أى أن يدل الناس على الفصيح الذى يقابل كل كلمة عامية دَحضاً لحجة من يزعمون أن فى العامية ألفاظاً لاتغنى عنها الفصحى

ولهذا الكتاب ذيل فى (الامثال العامية) جمعه كالشواهد لمعجم اللغة العامية مع بيان معنى المثل العامى وأسبابه ان كانت معلومة وما يقابله من الامثال الفصحى ان كان موجوداً . وهذا الكتاب مبيض وصالح للطبع

﴿ أعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر ﴾ وهو كتاب فى تراجم المعاصرين من أهل القرن الماضى والقرن الذى نحن فيه ، ونظن أنه صالح للطبع ، وانما تأخر فى طبعه ونشره ليكون أوفى وأكمل . وكان أصدقاء الباشا فى مختلف الأقطار يعرفون اهتمامه بجمع تراجم أهل هذين القرنين فكان كل واحد منهم يوافيه بما عنده من ذلك . وكنا نرى الباشا يراقب ما ينشر فى الصحف والمجلات من تراجم فيجمعها ليجعل ذلك من مصادر كتابه

﴿ تراجم المهندسين العرب ﴾ نشره فى مجلة (الهندسة)

﴿ ذيل طبقات الاطباء ﴾ كان يجمع موادّه ، ويكتب مذكرات عن مصادره ولا نظنه تمكن من اتمامه

﴿ التصوير عند العرب ﴾ كان قبل صدور الزهراء قد نشر فصولا من هذا الكتاب فى مجلة الهلال ، لكنه أضاف اليها بعد ذلك شيئاً كثيراً وزاد الكتاب تنقيحا وهو الآن صالح للنشر

﴿ مفتاح الخزانة ﴾ هو ثلاثة عشر فهرسا لخزانة الادب التى ألفها البغدادى . وضعها الباشا ليسهل عليه مراجعة هذا الكتاب العظيم والاستفادة منه عند اللزوم فلما شرعنا فى طبع الخزانة أباح لنا رحمة الله عليه تزيين طبعتنا بهذه الفهارس وهى عندنا بخط الفقيد رحمه الله ، وسنحوّل أرقام صفحات الطبعة الاولى الى طبعتنا ونجعلها مع (إقليد الخزانة) لصديقنا العلاّمة عبد العزيز الميمنى ذيلا لطبعتنا . وقد سبق لنا بيان مواضيع هذه الفهارس فى مجلة الزهراء وفى مقدمة الجزء الاول من الخزانة

﴿ نقد القسم التاريخى من دائرة معارف فريد افندى وجدى ﴾ كان الفقيد العظيم رحمه الله مريضا قبل بضع سنوات ، وانتقل من الذهبية فى النيل الى منزل نجله الفاضل الاستاذ محمود تيمور ، فلما نقه من مرضه أراد أن يتسلى بالمطالعة فأعطاه الاستاذ محمود أجزاء دائرة معارف وجدى فجعل يطالع القسم التاريخى منها ويعلّق على هوامشه ببيان أخطاء ذلك القسم التاريخى وسقطاته ، وهى كثيرة لايأتى عليها الحصر . فلما شرع الاستاذ فريد وجدى فى طبع دائرته للمرة الثانية أراد الباشا أن يرسل اليه بهذه النقود ليعتمدها فى التصحيح ، لكن قيل له ان المؤلف يؤلمه النقد ، فلم يشأ الباشا أن يؤلمه وعدل عن ارسال هذه التصحيحات اليه . فلما أخذ فريد أفندى وجدى فى مدح الكماليين وسمّى روح العصر نفحة إلهية وصرّح بتفضيل عصرنا الفاسق على عصر الخلفاء الراشدين أذن تيمور باشا بنشر هذا النقد ، وبالفعل أعلنت مجلة الهداية الاسلامية أنها ستنشره (دون أن تسمى كاتبه) وبينما ذلك الجزء من الهداية ماثل للطبع فوجئنا بوفاة تيمور باشا رحمه الله . فانا لله وانا اليه راجعون

﴿ حياة أبي العلاء المعرى وعقيدته ﴾ والباشا فى كتابه هذا يذهب الى مايذهب اليه الاستاذ الميمنى والاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار من سلامة عقيدة المعرّى وأن الملاحدة ينسبون اليه الالحاد تكثيراً لسوادهم

﴿ الحلقة المفقودة من تاريخ مصر ﴾ كان رحمه الله مهتماً بجمع أخبار البلاد المصرية فيما بين زمن ابن اياس وزمن الجبرتى ، ولكن ما اجتمع لديه من ذلك لايكون منه كتاب كامل

﴿ لعب العرب ﴾ جمع فيه كل لعبة للعرب ورد ذكرها فى كتب التاريخ والادب واللغة على طريقته المعروفة فى التحقيق والتحرير . وقد نشرناه أثناءالحرب العظمى فى المجلة السلفية

﴿ البرقيات ﴾ هى الكلمات المفردة التى تدل على معانى اعتاد الناس التعبير عنها بألفاظ متعددة فدل الباشا على أن لها فى العربية ألفاظاً مفردة خاصة بها ، وقد نشر نماذج من ذلك فى مجلة الهداية الاسلامية

﴿ الآثار النبوية ﴾ هو كتاب فى تحقيق جميع مايزعم الناس أنه موجود الآن من الآثار المنسوبة الى النبى ﷺ وقد أحاط المرحوم تيمور باشا بجميع ماقيل فى ذلك ورجع الى أوّليته وبين صحة ماهو صحيح من ذلك وضعف ما رآه ضعيفاً فتكلم أولا على البردة والقضيب ثم على الآثار المحفوظة فى مصر وكيف صارت الى المسجد الحسينى ، ثم حقق ما يزعمه الناس عن آثار القدم الشريفة على الاحجار فى مصر والقدس والقسطنطينية والطائف والحرمين وآراء العلماء فى ذلك وعقد فصلا للآثار النبوية فى القسطنطينية ، وفصلا للشعرات الشريفة ، وآخر للشعرات الباقية الى اليوم فى مصر والقسطنطينية ودمشق وبيت المقدس والبلاد الفلسطينية وفى طرابلس الغرب والهند ، وفصلا للعَلم النبوى وآخر للركاب النبوى

وكنت عنده فى الليلة التى توفىَ فى صباحها ، فكان يحقق فى موضوع الكتب النبوية وما ذكره المؤرخون من أن الكتاب النبوى الى هرقل كان محفوظاً

عند ألفونسو أمير طليطلة وأن أحد العلماء المصريين رآه هناك . وأن الفونسوقال لذلك العالم المصرى : ان أمراء طليطلة يعنون بهذا الكتاب ويحرصون على حفظه ، وهم يتوارثونه عن جدهم هرقل . فكان تيمور باشا رحمه الله يبحث فى المعالم الافرنجية عما اذا كانت الاسرة الاسبانية فى طليطلة ترجع بنسبها الى هرقل أم لا ، ووعدتُ الباشا بأن أسأل العلامة الاستاذ نلينو عما اذا كان هنالك مؤلفات افرنجية فى نسب أمراء طليطلة ؛ وهل لهذه الحكاية أصل فى كتبهم

﴿ فهرس مكتبته ﴾ هو فى نظرى من أهم المؤلفات ، لانه عملٌ على صرَف فيه الباشا وقتا طويلا ، وقد التزم فيه تعيين سنى وفاة كل مؤلف ، واذا كان معاصراً ذكر سنة ولادته ان أمكن . وكان اذا توفى رجل من المعاصرين له تأليف فى المكتبة التيمورية يبادر حالا الى كتابة تاريخ وفاته فى فهرس المكتبة . وهذا الفهرس مصدر مهم من مصادر الكتاب الذى كان يؤلفه الباشا فى تراجم أعيان المائتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة . والفهرس نفسه يدل على علم جمّ وفضل كبير

﴿ معجم الفوائد ﴾ هذا الكتاب هو الامّ لمؤلفات تيمور باشا كلها ، بل هو خلاصة مطالعاته واطلاعاته . وكان فى المدة الاخيرة ينظم هذه الذخيرة ويرتبها على حروف المعجم لتسهل الاستفادة منها . ومن قرأ ذلك من المشتغلين بالتاريخ والجغرافيا والادب وعلوم العربية يجد فيه من الفوائد العالية مالا يستطيع الحصول عليه فى نصف قرن لو أنه انصرف الى المطالعة دون أى عمل آخر

***

ولم يكن الباشا حريصاً على الاسراع فى طبع مؤلفاته لأنه من طلاّب الكمال ، وكان كلما وجد فى أثناء مطالعاته مايصح إلحاقه بمؤلف من المؤلفات يسرُّ بتأنيه فى النشر ، لذلك بقيت مؤلفاته كلها مخطوطة . وفى الحقيقة ان أكثر الرسائل التى نشرها انما كانت بحوثاً كتبها للزهراء أو غيرها فكنا نرجوه أن يأذن بطبعها فكان رحمه الله يوافقنا على ذلك . وهذا ما طبع من مؤلفاته :

﴿ نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الاربعة — الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى — وانتشارها ﴾ وهى من البحوث التى كتبها رحمه الله لمجلة الزهراء فطبعناها بعد ذلك فى رسالة على حدة

﴿ قبر الامام السيوطى وتحقيق موضعه ﴾ وهذه الرسالة أيضا مما كتبه للزهراء ثم نشرناها مستقلة

﴿ اليزيدية ومنشأ نحلتهم ﴾ وهى أصح ما ألف فى هذا الموضوع بالرغم من كثرة ما كتبه الغربيون والشرقيون فى هذا الباب . وقد أبان رحمه الله كيف تطوّرت هذه النحلة ، وبرهن على ما ذكره من ذلك بما عثر عليه من الكتابات القديمة منها عقيدة الشيخ عدى بن مسافر وما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية فى نصح اليزيدية وردعهم عن ضلالهم الذى لم يكن قد وصل الى ما وصل اليه الآن

﴿ تاريخ العَلَم العثمانى ﴾ وقد ألفه ليبين أصل الهلال والنجمة وكيف تطور استعمالها فى الراية العثمانية وكيف انتقل ذلك الى الراية المصرية

﴿ تصحيح القاموس المحيط ﴾ تتبع فيه غلطات الطبعة الثالثة من هذا المعجم العظيم وهى أجود طبعاته فى بولاق . والرسالة على صغرها تنم على علم جم وتحقيق عجيب

﴿ تصحيح لسان العرب ﴾ انتشر منه قسمان : الاول فى أثناء الحرب العظمى والثانى طبع فى مطبعتنا . وكان من عادة الباشا كلما عثر على خطأ فى لسان العرب أن يقيد ذلك عنده فلما اجتمع عنده أثناء الحرب ما يكفى لنشره فى رسالة بادر الى نشرها . ثم اجتمع عنده تصحيحات أخرى تملأ رسالة ثانية فنشرنا القسم الثانى . ومن بعد ذلك اجتمع عنده مقدار آخر ، ولما عزمنا على طبع لسان العرب للمرة الثانية أعطانا رحمه الله هذا القسم الثالث بخطه لننقله مع القسمين المطبوعين الى طبعتنا من لسان العرب . هذا وقد كنا نتمنى أن يمد الله فى أجله عشر سنوات أخرى ، اذن لتمكن من نشر مؤلفاته بنفسه وإتمام مالم يتمّ منها ، بل كان فى الامكان

استخراج بضعة مؤلفات أخرى من معجم الفوائد الذى أشرنا اليه

﴿ مكتبته ﴾

كان فضيلة السيد محمد الببلاوى مرّةً بين يدى جلالة الملك يذكر له شيئاً عن خزائن الكتب المصرية ، فقال يصف الخزانة التيمورية ـ وكان ذلك فى حياة صاحبها رحمه الله :

ــ ان مكتبة تيمور باشا فريدة فى مصر لا مثيل لها بعد دار الكتب المصرية

فأجابه جلالته :

ــ وصاحبها أيضاً فريد

ولعلّ قرّاء (الزهراء) لايزالون يذكرون كلة الدكتور ماكس مايرهوف التى نشرناها فى المجلد الرابع (ص ٣١٧) وهى قوله فى وصف مكتبة تيمور باشا « هى مكتبة نادرة الوجود ، تعدُّ من أتمّ وأفخر المكاتب المرتبة » ثم أثنى على علم صاحبها ، ونوّه باستفادة الشرقيين والغربيين من ذخائر مكتبته النفيسة

بدأ تيمور باشا بتأسيس مكتبته منذ كان فتى يطلب العلم . وكان يشترى الكتب للمطالعة والاستفادة ، لا للقنية والزينة . فكلما اشترى كتاباً نفيساً ووقف على فضل مؤلفه أغراه ذلك باستكمال ما لذلك المؤلف من آثار ، أو تحصيل مايتعلق بالكتاب نفسه من شروح ونقود . ولا يُلحِق الكتاب بمكانه من خزانته إلا بعد مطالعته أو تصفحه تصفّحاً دقيقاً . لذلك كان تاريخ نشوء تيمور باشا العلمى سائراً مع تاريخ نموّ مكتبته ، فهو يزداد فى كل يوم علماً ، وتزداد مكتبته بذلك أهمية وثراء

ومكتبة تيمور باشا ـ مثل أكثر المكاتب التى تؤسس فى حياة أصحابها المعاصرين ـ تبتدىء بالمطبوعات المتداولة ، ثم تنمو بالمطبوعات النادرة ، ثم تزدان بالمخطوطات والكتب المنسوخة بالتصوير الشمسى ، وكل هذه الانواع

موجودة فى الخزانة التيمورية ، فهى مستكملة جميع المؤلفات العلميــة المطبوعة فى بولاق وسائر المطابع المصرية ، وفيها جميع المصنفات العصرية النافعة ، ولا يكاد يوجد كتاب مما طبعه المستشرقون فى أوربا وغيرها إلا وهو موجود فيها ، وظلّ النسّاخ ينقلون له مدة سنين طويلة أهم كتب الأدب واللغة والتاريخ والجغرافيا من دار الكتب المصرية ومن المكتبة الظاهرية فى دمشق والمكتبة الخالدية فى بيت المقدس وغيرها ، وكان المشتغلون ببيع المخطوطات يحملون الكتب من دمشق وبغداد والحجاز وسائر الاقطار قاصدين بها العلامة تيمور باشا لانه كان أعلم الناس بأقدار الكتب المهمة ولا يتردّد فى اقتناء ما تحتاج اليه مكتبته منها . وما برح منذ عشر سنين يستنسخ نفائس الكتب النادرة بالتصوير الشمسى من خزائن كتب أوربا والقسطنطينيــة ، حتى مكتبة الفاتيكان (فى قصر البابا) فقد أبيح للمرحوم تيمور باشا أن ينقل منها بالتصوير الشمسى ما شاء . وعند تيمور باشا جميع الفهارس المطبوعة للخزائن العامة فى الشرق والغرب ، فكلما علم أن من الميسور نقل نفائس إحدى المكتبات بالفطوغراف بادر الى مراسلة من يتوسط له فى ذلك ، وكنا نتمنى لو مدّ الله فى أجله عشر سنوات أخرى حتى يستكمل برنامجه العلمى فيما يتعلق بمكتبته ومؤلفاته وسائر أعماله العلمية

والمكتبة التيمورية واقعــة فى حىّ الزمالك فى الجزيرة ، فى دار أنشأها رحمه الله لهــذا الغرض تحيط بها حديقــة غنّاء ، ووقف عليها أطيــاناً تضمن بقاءها ونماءها

(وقبل نشر هذه الطبعة من هذا الكتاب رأى نجلاه الفاضلان حفظهما الله أن نقل هذه الخزانة الى دار الكتب المصرية فى جناح خاصّ بها أعمّ نفعاً وأضمن لحفظ تلك النفائس فأذنا بنقلها ، وهى الآن من أثمن ما ألحق بدار الكتب المصرية)

ويبلغ عدد الكتب فى هذه الخزانة العامرة نحو ثلاثة عشر ألف كتاب ، نصفها مخطوط أو مصور بالفطوغراف ، ونصفها مطبوع . وتمتاز هذه الكتب

بأنها من النفائس المختارة . وكان اختياره يقع فى بادىء الأمر على العلوم التى يغلب عليه الاشتغال بها ، وهى التاريخ والجغرافيا والخطط والأدب واللغة وعلوم العربية ثم توسع فى تنميتها فاستكمل العلوم الشرعية والاسلامية . ولما بدت له فكرة جعلها مكتبة عامة تجاوز ذلك الى سائر العلوم الجدّية فصار يأخذ من كل علم أنفَسَ ما أُلّف فيه ، ماخلا الروايات وما أشبهها فانه لايقتنى من ذلك إلا ما تكون له ميزة أخرى تتصل بأغراضه العلمية والملية

وكان فى بداية الأمر أراد أن يجمع مجموعات من الصحف اليومية ، ثم عدل عن ذلك الى الاقتصار على الوقائع المصرية (وهى كاملة عنده من بدايتها الى الآن) وعلى المجلات المهمة والمصورة

والذى يدخل دار الكتب التيمورية يرى فيها عند النظرة الاولى ذوق صاحبها وآثار ميوله ، فهنالك جدران مزينة بأنواع الجلود النفيسة التى كانت تصنع للكتب فى أدوار الحضارة العربية الاسلامية . وصورٌ لمشاهير العالم الاسلامى كصلاح الدين الايوبى وعبد القادر الجزائرى وجمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده والشيخ طاهر الجزائرى والشيخ حسن الطويل والشيخ جمال الدين القاسمى وملوك آل عثمان ورجال الاسرة العلوية فى مصر ومشاهير العلماء والوزراء والذين لهم أثر فى نهضة المسلمين والذبّ عن حياض الملة ، وبين هذه الصور مايعد أثريا أو نادراً

ونضرب المثل الآتى لعنايته بمكتبته وآثارها :

كان فيما كان بمنزل آبائه فى درب سعادة كيسٌ مهمل مملوء برسائل ومكاتبات دارت بين رجال هذه الاسرة الكريمة ومعاصريهم من رجال الدولة . فعمد رحمه الله الى هذه الاوراق فصنفها ورتب الاشباه والنظائر واستخرج منها اثنى عشر مجلداً ضخما كمجلدات الصحف اليومية اذا جلدت . وهذه المجلدات تحتوى على رسائل رسمية وغير رسمية واردة على رجال الاسرة التيمورية من عزيز مصر محمد على باشا ، وابنه القائد العظيم ابراهيم باشا ، وغيرهما من رجال الدولة

وأعيان البلاد . وقد جمع هذه الرسائل بحسب مواضيعها . فالوثائق التاريخية مجموعة معاً ، والمستندات القضائية كذلك ، وما يدل على أساليب الادارة يومئذ مضموم بعضه الى بعض . . الى غير ذلك مما يدل على دقة عجيبة . وفى آخر كل مجلد فهرسٌ بخطّ الباشا يعين القارىء على الاستفادة من هذه النفائس

وأعجب من ذلك ما تراه فى الخزانة التيمورية من آثار فضل صاحبها ودلائل علمه الجمّ، بما وضعه من فهارسَ دقيقة لكثير من الكتب الخطية ،وانك لتقف أمام المجلد الضخم المكتوب منذ خمسمائة سنة أو ثمانمائة سنة بخط تصعب قراءته على كبار العلماء ، فترى تيمور باشا قد قرأه قراءة درس وتحقيق ؛ وجعل له فى آخره فهرساً أشار فيه الى كل ماهو مدّخر فى المجلَد من مسائل لا ينتبه لها إلاّ العالم النحرير . وان سياحةً بين مثل هذه الكتب تكفى لمعرفة قدر هذا الراحل ومكانته العلمية

هذه نظرة اجمالية فى مكتبة تيمور باشا . أما الكلام التفصيلى عليها ، وبيان ما فيها من نفائس وما انفردت به مما لايوجد فى غيرها فهذا يخرج عن دائرة الكلام على ترجمة المرحوم تيمور باشا ويستحقّ أن يفرد له مقال خاصّ

« صلابته الدينية والقومية »

كثيرٌ من شباننا — الذين لو عاشوا بقدر ما عاش تيمور باشا عشر مرات لاينالون عُشر مانال من اجماع الناس على امتداحه — يخافون من أن يوصفوا بالصلابة الدينية ؛ بل قد يخجلون من إسلامهم ، وينافقون للغربيين نفاقاً يفهمه الغربيون ويحتقرونهم بسببه . وأما تيمور باشا فكان فى منتهى اللطف والرقة والرغبة فى المجاملة إلا اذا امتحنت صلابته فى الدين والقومية فانه يفتخر بهما ويتمسك بكل ماله صلة بهما . ساح فى أوربا فكان فيها كما كان لما سافر الى الحج شديد الحرص على شعائره الملية ، ولم يرفع طربوشه عن رأسه فى كل عاصمة دخلها وفى كل شارع افرنجى سلكه . وقال لى غير مرة انه كان يلقى

بسبب ذلك حرمة ومعونة من الاوربيين ، ولا صحة لما يزعمه المتفرجون من أنهم يلبسون البرنيطة فى أوربا اتقاء الهزء والسخرية بهم (١)

ومن أراد أن يعرف صلابة تيمور باشا فى أخلاقه الدينية والقومية فليطلع على الاوراق المالية التى يتعامل بها مع مصرف كريدى ليونه وغيره فانه لا يؤرّخ تحاويله المالية إلا بالتاريخ الهجرى وحده . وقد رضى منه مصرف الكريدى ليونه بذلك ولو فعل كل غنىّ مسلم كما كان يفعل تيمور باشا لكان التاريخ الهجرى غير مصاب بالخذلان الذى أصيب به فى كل مكان ، حتى فى دار الافتاء الاسلامية بالقاهرة حيث يؤرّخ مفتى المسلمين فتاواه بالتاريخ المسيحى . ولست أدرى أى عيب فى كتابة التاريخ الهجرى حتى نستحى منه عند مواطنينا ونهزم به بلا موجب ...

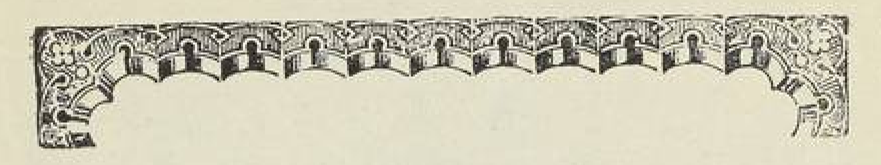
هذه الملاحظات التى كان لها المكان الأعلى عند تيمور باشا قلّ من الناس - بل وأئمة الناس - من يتنبه لها . ولذلك أصابنا الانحلال ، ومن هذه الخروق دخل علينا الاجنبى واستولى علينا

رحمة الله على تيمور باشا ، فقد كان كاملا من كل النواحى . ولو شئتُ أن أحدّث القراء عن جميع نواحى كماله لخرجت من مقالٍ فى ترجمته الى مجلد فى تدوين سيرته من سنة ولادته ١٢٨٨ هـ الى يوم وفاته (السبت ٢٧ ذى القعدة ١٣٤٨) وانها لسيرةُ رجل من الابرار المتقين ، رحمه الله وأعلى مقامه فى روضات النعيم

القاهرة : ١٠ ذى الحجة ١٣٤٩



(١) من الامثال التي كانت معروفة عند الترك فى المائة السنة الماضية أن الافرنجى تنبحه الكلاب . وسبب ذلك أن البرنيطة كانت غريبة فى بلاد الترك وكان الصبيان يجتمعون حول لابس البرنيطة ليتفرجوا عليه . فما زال اصحاب البرانيط مصرين على لبس برانيطهم الى ان صارت مألوفة بل الى ان صار الترك من لابسى البرنيطة . فرحى لاهل الثبات على خصائصهم وميزاتهم والهزيمة لاهل التقليد المضحك



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين * والصلاة والسلام على سيّدنا محمد سيّد المرسلين * وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ أما بعد ﴾ فهذه رسالة فى اليزيدية وبيان منشأ نحلتهم ، والكشف عن غامض أمرهم ، كنا نشرناها موجزة فى مجلة المقتطف [١] . ثم عَنَّ لنا تجريدها بعد تهذيبها وضمّ زيادات كثيرة اليها . وقد قسمناها الى فصول بدأنا بالتعريف بهم وبعقيدتهم وبيزيد الذى ينتسبون اليه ، ثم أتينا على أخبار شيخهم مُحْدِث طريقتهم ومكوّن طائفتهم وأخبار الزعماء من آله ذوى الاثر فى هذه النحلة ، وما تقلَّبت فيه من الاطوار . وعرض لنا أثناء التكلم عنهم تحقيق أمر الزاوية العدويّة بالقرافة الصغرى المدفون بها أحدهم فاضطررنا الى التعريج بالقارىء عليها وبَعُدْنا به قليلاً عن المقصد . وعُذرنا فى ذلك أننا لم نر من تقصّى أمرها مثل ما تقصّيناه مع ما لهم من الصلة بها . وكنا عثرنا على أخبار منتثرة لثُلّة من عترتهم لاينتحلون نحلتهم ولا يمتّون اليهم إلاّ بواشجة القربى فرأينا من تمام الفائدة ألا نخلى هذه الرسالة من ملخّص تراجمهم . ثم أخذنا فيما قصدناه من بيان أصل هذه العقيدة وبدء الانحراف فيها وما طرأ عليها بعد ذلك من التبديل والزيادة والنقص ومنشأ اعتقاد القوم فى يزيد وفى الشيطان مستمدّين من الله تعالى التوفيق والتسديد

---

(١) ج ٤٨ ص ٥٣

فصل

في التعريف بهم

اليزيدية طائفة من الاكراد يسكن أكثرهم فى جهات الموصل وولاية أرْوان الروسية ومنهم طوائف فى نواحي دمشق و بغداد وحلب . وهم من أغرب طوائف المبتدعة بدعةً يدينون بعبادة الشيطان ويقولون بالتناسخ ، ولهم فى كتم نحلتهم والاحتفاظ بأسرارهم مبالغة شديدة طوت أمرهم عن الناس زمناً ثم أُتيح لبعض من خالطهم من روّاد الافرنج وغيرهم كشف القناع عن كثير من دخائلهم ولكن وقع فى عباراتهم من الاختلاف ما لا بدّ من وقوعه فى كل أمرٍ يحاط بالخفاء والكتمان

وأوّل من تصدّى للبحث عن أمرهم من أصحاب المجلات العربية فيما نعلم صاحب مجلة الجنان[1] التى كانت تصدر فى بيروت ثم نشرت مجلة المقتطف[2] فصلا ملخّصاً مما حققه عنهم أحد روّاد الافرنج بعد ما ثوى فيهم وعاشرهم دهراً ثم نشرت مجلة الضياء[3] فصلا عنهم لا يخرج فى جوهره عما فى المقتطف وان باينه فى بعض المواضع بشيء من الاختلاف والزيادة والنقصان . ثم نشرت مجلة المشرق[4] فصلا آخر كان أوفى مما تقدمه فى استقصاء أخبارهم . وعثر أحد الفضلاء فى الموصل على نسخة مخطوطة باللغة العربية من كتابيهم (الجلوة) و(مصحف رش) فنشرهما بنصيهما فى احدى المجلات الامريكية مع الترجمة الانكليزية . وعثر أحد علماء المشرقيات بالنمسة على نسخة منها بالعربية والكردية فطبعهما بالنصين والترجمة النمسية فى ڤينة فازداد أمرهم بطبعها جلاء ووضوحا وأُميط

---

(١) ج ٧ ص ٥٢٥ (٢) ج ١٣ ص ٣٩٣ (٣) ج ١ ص ٧٠٥
(٤) ج ٢ ص ٣٢ و ١٥١ و ٣٠٩ و ٣٩٥ و ٥٤٧ و ٦٥١ و ٧٣١ و ٨٣٠

الشام عما تضارب فيهم من الاقوال فى الفصول المنشورة فى المجلات المتقدم ذكرها غير أن القول فى منشإ هذه النحلة وأول مبتدع لها وما تقلبت فيه بعد ذلك من الاطوار حتى وصلت الى ما هى عليه الآن لم يزل غامضاً ملتبساً وكل ما أوردوه عنها فى ذلك جاء مضطرباً مبتوراً لا يصدر عنه الباحث بغناء وهو ما قصدنا البحث فيه فى هذه الرسالة بعد أن نلخص من عقائدهم ما يتوقف عليه اطّراد البحث ويمثّل للقارىء صورة مجملة منهم

فصل

في ملخص عقيدتهم

للقوم كتابان كما ذكرنا أحدهما كتاب الجلوة[1] وهو يتضمن ما خاطب به البارى تعالى عباده والمقصود بهم اليزيدية وكلاما فى قدمه تعالى وبقائه وقدرته ووعده ووعيده وذكر القول بتناسخ الأرواح وفيه أن الكتب التى بأيدى الخارجين أى أهل الأديان المعروفة ليست كما أُنزلت بل بدّلوا فيها وحرّفوا فما وافق منها سنن اليزيدية فهو المقبول وما غايرها فمن تبديلهم

والثانى مصحف رش أى الكتاب الاسود وفيه حديث خلق السماوات والارض وما فيها من بحار وجبال وأشجار وخلق الملائكة والعرش وآدم وحوّاء وارسال الشيخ عادى بن مسافر من الشام الى لالش وما كان من نزول طاووس ملك (أى الشيطان) الى الارض واقامته ملوكا لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى

---

(١) سيأتى فى ترجمة شيخهم الشيخ حسن انه صنف كتابا اسمه الجلوة لارباب الخلوة ولا ريب فى أنه غير هذا الكتاب الذى بأيدينا فان الرجل كان على رقة دينه ذا عقل ودهاء وعلم وأدب لا ينحط قلمه الى مثل هذا السخف

والمسلمين والعجم لهم . وفيه أن كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحوّاء وأما شيث و نوح وأنوش وهم آباء اليزيدية الأوّلون فمن نسل آدم فقط وأصلهم من توأمين ذكر وأنثى ولدهما باحدى الخوارق . وأن طوفاناً أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح مضى عليه الآن سبعة آلاف سنة كان ينزل فى كلّ ألف سنة منها إله من السماء يشرّع لهم الشرائع ويسنّ السنن ومن هؤلاء الآلهة السبعة يزيد الذى ينتسبون اليه . أما رئيسهم وأوّلهم فالشيطان المعبّر عنه عندهم بطاووس ملك ومرتبة هؤلاء الآلهة دون مرتبة الاله الأعظم الواحد القهّار الفعّال لما يريد

وفى هذا الكتاب أيضاً شرائعهم وما أحلّ لهم وما حرّم عليهم فى الزواج وغيره وشرح أمر الطواف بسناجقهم (أى أعلامهم) فى البلدان والقرى لجمع الصدقات وزياراتهم لقبر الشيخ عادى وما يفعلونه فى عيد أوّل السنة من قطف النَّوْر الأحمر وذبح الذبائح واطعام الفقراء وزيارة القبور

وفى كلا الكتابين من التلفيق والخبط والخلط مافيه . وتمتاز نسخة النمسة بالنصّ الكرديّ فيها . وتختلف عنها الأمريكية ببعض زيادات وتقديم وتأخير فى العبارات وفيها ملحق فيه ماليس فى الكتابين من شرائعهم وأحوالهم وكرامات أوليائهم وتفصيل مراتب أمرائهم وشيوخهم وأغنية مختلّة الوزن والعبارة فى مدح الشيخ عادى وأخرى مثلها تتلى فى صلاتهم وصورة المحضر الذى كتبوه لمّا أرادت الدولة العثمانية تجنيدهم ، وقد ذكروا فيه السبب الدينىّ المانع لهم من مخالطة غيرهم

هذا ملخّص مافى الكتابين اقتصرنا فيه على ماتدعو اليه الحاجة من خبر نحلتهم ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع اليهما وهما بخزانتنا فى فنّ العقائد (رقم ٤١٨ و ٥٠٥) . وقد عثرنا على نبذة ناقصة الآخر ملحقة بنسخة عندنا من كتاب حسن التصرّف لعلاء الدين القونوىّ شرح التعرّف لمذهب أهل التصوّف

للكلاباذىّ فيها شىء عن هذه العقيدة رأينا أن ننقله هنا لأنا لم نقف لمؤلفينا على كلام عن هذه النحلة سوى شذرات يذكرونها بالمناسبة فى بعض التراجم قليلة الفائدة . وهذا ماجاء بهذه النبذة ببعض تلخيص :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين ربّ يسّر . اللهم ألهمنا الصواب وفصل الخطاب وجنّبنا العىّ والغىّ والارتياب . وهب لنا من لدنك رحمة انك [أنت] الوهاب . أما بعد فهذه كلمات فى بيـان مذهب الطائفة اليزيدية وحكمهم وحكم الاموال الكائنة بأيديهم * اعلم انهم متفقون على أباطيل من اعتقادهم وعقائد وأقاويل كلها مما يوجب الكفر والضلال . منها انهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون انه كذب وأن مثل هذيانات وأقوال الشيخ فخر[1] هى المعتمد عليها والتى يجب أن يتمسك بها ولهذا يعادون علماء الدين ويبغضونهم بل لو ظفروا بهم يقتلونهم أشنع قتل ، كما وقع غير مرّة . وان وقعت الكتب الاسلامية فى أيديهم يلقونها فى القاذورات بل يمزّقونها ويتغوّطون ويبولون عليها . وذلك مشهور لاسترة له . ومنها أنهم يحلّون الزنا اذا جرى بالتراضى . أخبرنى من أثق بخبره أنه رأى ذلك مسطوراً فى كتاب لهم ينسبونه الى الشيخ عدىّ . ومنها أنهم يفضّلون الشيخ عدياً على الرسول (عليه الصلاة والسلام) بمراتب بل يقولون إنه لامناسبة بينهما . ومنها أنهم يصفون الله تعالى بصفات الاجسام كالأكل والشرب والقيام والقعود وغيرها . ومنها أنهم يحكون حكايات فى شأن الله تعالى ورسوله والشيخ عدىّ تشتمل على تذلل الله تعالى ورسوله بين يدى الشيخ عدىّ وعلى تحقير شأنهما والاستهزاء بهما وتضجّره من تردّدهما اليـه واستغنائه عن صحبتهما وملاقاتهما وغير ذلك مما يجب تنزيه شأن الله تعالى ورسوله عنه . ومنها

(١) لعله فخر الدين المذكور فى كتابهم الاسود المسمى (مصحف رش) واسمه نورائيل المخلوق يوم السبت وهو بزعمهم خالق الانسان والحيوان والطير والوحوش

أنهم يمكّنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلون ذلك ويعتقدونه . ومنها أنهم يصرّحون بأن لافائدة فى الصلاة ولا بأس فى تركها وهى ليست واجبة بل الواجب طهارة القلب وصفاؤه . ومنها أنهم يعتقدون أن اللالش[1] أفضل من الكعبة وأن لافائدة من زيارتها لمن يقدر على زيارة اللالش . ومنها انهم يسجدون للالاش ولكل مكان شريف بزعمهم وخصوصاً لمقام الشيخ عدى فانهم يدّعون أن من لايسجد له كافر . ومعلوم أن هذا السجود كالسجود للصنم والشمس ومنها أنهم يعتقدون أن الشيخ عدياً يحمل أمته يوم القيامة فى طبق ويحمله على رأسه ويذهب بهم الى الجنة . فهذه بعض أقوالهم وأفعالهم القبيحة وقد تواترت عند من خالطهم وخبر أحوالهم . ثم إنى سمعت غير واحد ممن كشف عن مضمرات صدورهم الخبيثة يقول إنهم ثلاث فرق : إحداها غلاتهم الذين قالوا إن الشيخ عدىّ بن مسافر هو الله نفسه . والثانية الذين يقولون إنه ساهم الله تعالى فى الالٓهية فحكمُ السماء بيد الله تعالى وحكم الارض بيد الشيخ عدى . والثالثة الذين يقولون إنه ليس الله تعالى ولا شريكاله ولكنه عند الله تعالى بمنزلة الوزير الكبير لايصدر من الله تعالى أمر من الامور إلا برأيه ومشورته . والظاهر أن مذهبهم يؤول الى الحلول وهم يوالون النصارى ويصوّبون بعض عقائدهم . انتهى ببعض تلخيص وبأكثر لفظه

---

(١) لالش قرية بالهكارية سكنها الشيخ عدي والظاهر ان المراد بها فى هذه النبذة معبد بها

فصل

في يزيد الذي ينتسبون اليه

جاء في كتاب الملل والنحل ذكرٌ لفرقة من الاباضيَّة يُدْعَوْن باليزيدية وهم أتباع رجل اسمه يزيد بن أبي أُنيسة وهو غير المحدّث المشهور كان بالبصرة ثم انتقل الى أرض فارس ، وكان من زعمه أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتاباً جملة واحدة ينسخ به الشريعة الاسلامية ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن الكريم وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط فذهب بعض الافاضل الذين بحثوا في أمر اليزيدية الى أنهم من بقايا هذه الفرقة . والظاهر أن الحامل لهم على هذا الرأى اتحاد الفرقتين في النسبة وسوء المعتقد . والذى ظهر لنا بعد التحقيق أن لاعلاقة بين يزيدية اليوم وتلك الفرقة وأنّ أتباع ابن أبي أنيسة قد لحقوا بغيرهم من الفرق التي بادت وبادت معها آراؤها . أما يزيدية اليوم فنسبتهم الى يزيد بن معاوية على التحقيق كما يقولون ، ولكن لاعلى مالفقوه من المزاعم بل لما سنورده عليك بعد

وزعمهم هم في يزيد على ماجاء في كتابهم الاسود (مصحف رش) أن معاوية أباه كان خادما لنبي الاسماعيليين أى نبينا ﷺ وحلق رأسه يوماً فجرحه وأكبّ على الدم فلحسه بلسانه لئلا يسيل على الارض فقال له النبي أخطأت وستكون ذرّيتك أعداء لأمتي فعاهده على أن لايتزوج أبداً ولم يكن له بنون من قبل ولكن الله سلط عليه عقارب لدغته في وجهه وجزم الاطباء بموته إن لم يتزوج فتزوج امرأة في الثمانين ليأمن حملها فلما أصبحت اذا هي بنت خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد أحد آلهتهم السبعة

وذهب بعض الباحثين الى أنهم من المجوس الداسنيين هجروا حاضرتهم القديمة يَزْد وسكنوا داسن فقيل لهم اليزْدِيون ثم حرفته العامة وقالت يزيديون . وهو زعم باطل لايقوم عليه دليل

فصل

في الشيخ عادى

للشيخ عادى مقام غير منكور عند اليزيدية وقبره اليوم كعبتهم التى يحجون اليها وشيخهم الأعظم سادن مقامه ولهم فيه مزاعم فى مصحف رش منها أنّ الله تعالى أرسله من أرض الشام الى لالش ومفهوم العبارة أن ذلك كان قبل خلق آدم عليه السلام . وهو من الخلط الذى لا تخلو منه عباراتهم

وفيه أنهم عند ارسال السناجق (الأعلام) الى القرى لجمع الصدقات يخرجونها من عند قبره باحتفال عظيم ورقص وغناء وزمر ونقر على الدفوف والطبول ويعجنون من ترابه بنادق (كرات صغيرة) تحمل مع السناجق فتفرّق فى القرى للتبرك بها . وعند عقد الزواج يأتون برغيف من دار شيخهم يتقاسمه العروسان . فان لم يوجد اكتفيا بسف شيء من تراب الشيخ عادى . وفى الزوائد الملحقة بالنسخة الأمريكية أنّ من يموت منهم يجب أن يحضره شيخ من شيوخهم الذين فى طبقة (السكوْجَك) ليضع فى فيه شيئاً من هذا التراب قبل دفنه ، وفيها أيضاً تفصيل مناسكهم عند زيارته وأنّها مفضّلة عندهم على حجّ البيت الحرام مع التصريح بأنه مبتدع ملتهم ومرشدهم الأوّل الى طريقها

وفى النسخة الأمريكية أيضاً نبذة عن الشيخ عادى وردت قبل كتاب الجلوة كمقدّمة له نثبتها هنا دليلا على مبلغ جهلهم بالتاريخ وخلطهم بين الازمان المتفاوتة ونموذجا لما فى كتابيهم من الركاكة وسوء التعبير وهذا نصها « فى زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هجرية كان منصور الحلاّج وشيخ عبد القادر الكيلانى فى

ذلك الوقت ظهر انسان اسمه الشيخ عادى من جبال الهكارية[(١)] أصله من أطراف حلب أو من بعلبك جاء وسكن جبل لالش قريب مدينة الموصل نحو تسع ساعات والبعض قالوا إنه من أهل حرّان ونسبته الى مروان بن الحكم فانه شرف الدين أبو الفضائل عادى بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان وكان وفاته سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هاجرية وقبره يزار الآن قرب قرية باعدرى[(٢)] من قرى الموصل تبعد عنها احدى عشر ساعة واليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين عند الشيخ عادى المذكور والبعض منهم ينسبون الى يزيد ومنهم الى الحسن البصرى » انتهى

ولا بدّ لنا قبل التعريف بهذا الشيخ من تصحيح اسمه فانه ورد فى كتابيهم مرسوما بزيادة الف بعد العين كما رسمناه متابعة لهم وبه ورد أيضا فى مجلات الجنان والمقتطف والمشرق . وورد فى مقالة مجلة الضياء بلفظ الشيخ الهادى وجاء بها عنه ما نصه « الذى فى الاصل السريانى الشيخ ادى وكذلك هو فى النقل الفرنسوى ولعل لفظه الصحيح عدىّ إلا أننا رأينا بولياى رواه بزيادة هاء فى أوّله كما أثبتناه فيما نقلناه عنه قريبا وهو الذى اعتمدناه فى سائر المقالة توحيداً للتسمية » . انتهى

قلنا : والصواب أنه (عدىّ) كما ظنّه فى تصحيح لفظه

وفى مقالة مجلة المشرق ذكر لاسطورة رواها رجلان من اليزيدية مصرّح فى آخرها بأن لفظ عادى محوّل عن آدى وخلاصتها أن مزار الشيخ كان فى الاصل ديراً للنساطرة بنى على اسم القدّيس أدّى أو آدى ثم تفرق رهبانه باغواء طاووس ملك لهم ودانوا باليزيدية وظهر فى إبان ذلك الشيخ عادى بدعوته وأنبأ تلاميذه بأمر الرهبان قبل وقوعه وأوصاهم بدفنه فى مكان المذبح الاعظم بالبيعة بعد هدمه

---

(١) اى الهكارية

(٢) اوردها ياقوت فى معجم البلدان بلفظ باعذرا بالذال المعجمة وقال عنها من قرى الموصل

فعملوا بوصيته وصاروا يحجون الى قبره كل سنة وحولوا اسم آدى الى عادي انتهى

قلنا: والقول بهذا التحويل ظاهر البطلان لما سيأتى. ولعل كاتب المقالة الفاضل كان متوقفاً فيه أو فيما ورد عن أصل المزار أيضا فانه ختم عبارته بقوله (فتأمل)

والصواب أنه الشيخ عدىّ بن مسافر أحد صوفية زمنه ومعتقديهم، ترجمه ابن خلكان فى وَفَيات الاعيان فقال عنه «الشيخ عدىّ بن مسافر بن اسماعيل ابن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان. كذا أملى نسبه بعضُ ذوى قرابته الهكّارىّ مسكنا العبد الصالح المشهور الذى تنسب اليه الطائفة العدوية» انتهى وذكر ابن الوردىّ نسبته فى تاريخه كما ذكرها ابن خلكان وزاد فيها بعد مروان الأخير «ابن الحكم ابن مروان الاموىّ» وفى هذه الزيادة نظر وكذلك فعل السخاوىّ فى تحفة الاحباب [1] فى سياقه لنسب قريبه زين الدين يوسف المدفون بمصر بالقرافة الصغرى غير أنه ذكر بعد مروان الاخير «ابن الحكم بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس» ثم ساق نسبه الى عدنان وهذا هو المعروف فى نسب مروان ابن الحكم فانّ جدّه أبو العاص لا مروان. وفى مسالك الابصار لابن فضل الله العمرىّ ترجمة للشيخ عدىّ جاء فيها أنّه «من ولد معاوية بن أبى سفيان» وهو قول لم نره لغيره؛ والظاهر أنه أراد من ولد مروان بن الحكم فسبق قلمه الى معاوية والله أعلم

ثم قال ابن خلكان عن الشيخ عدىّ «سار ذكره فى الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حسنُ اعتقادهم فيه الحدّ حتى جعلوه قبلتهم التى يصلون اليها وذخيرتهم فى الآخرة التى يعوّلون عليها. وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ

---

(١) تحفة الاحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات للعلامة محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ طبع على حاشية الجزء الرابع من نفح الطيب بالمطبعة الازهرية بالقاهرة سنة ١٣٠٢

والصلحاء المشاهير مثل عقيل المنبجى [١] وحمّاد الدبّاس وأبى النجيب عبد القاهر السُهروردىّ [٢] وعبد القادر الجيلىّ وأبى الوفاء الحلوانىّ ثم انقطع الى جبل الهكّارية من أعمال الموصل وبنى له هناك زاوية ومال اليه أهل تلك النواحى كلها ميلا لم يسمع لأرباب الزوايا مثله. وكان مولده فى قرية يقال لها بيت فار [٣] من أعمال بعلبك والبيت الذى ولد فيه يزار الى الآن وتوفّى سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة فى بلده بالهكّارية ودفن بزاويته رحمه الله تعالى. وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة وحفدته الى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة. وذكره أبو البركات ابن المستوفى فى تاريخ إربل وعدّه من جملة الواردين على إربل. وكان مظفّر الدين صاحب إربل رحمه الله تعالى يقول رأيت الشيخ عدىّ بن مسافر وأنا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة أسمر اللون وكان يحكى عنه صلاحا كثيراً وعاش الشيخ عدىّ تسعين سنة رحمه الله تعالى » انتهى ما ذكره ابن خلكان بنصه

وترجمه ابن الفرات فى تاريخه والمقريزى فى خططه فى كلامه على الزاوية العدوية بما لا يخرج عما ذكره ابن خلكان. وترجمه الشيخ عبد الوهاب الشعرانىّ فى طبقاته الكبرى المسماة بلواقح الانوار وفى طبقاته الوسطى فأثنى عليه فى كلتيهما ثناء كثيراً وذكر أنه أقام فى أوّل أمره زماناً فى المغارات والجبال والصحارى مجرّداً سائحاً يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات. قال وهو أول من قُصد بالزيارات وتربية المريدين الصادقين ببلاد الشرق وقصده الناس من سائر الاقطار

---

(١) و (٢) فى نسخة وفيات الاعيان المطبوعة ببولاق المنحى وعبدالقادر الشهرزورى وكلاهما تحريف

(٣) فى نسخة وفيات الاعيان البولاقية بيت قار بالقاف وهو تحريف صوابه بالفاء وقد نص البقاعى على ذلك فى عنوان العنوان فى ترجمة الخطيب العدوى احمد بن محمود بن عبد السلام من ذرية أبى البركات ابن اخى الشيخ عدى بن مسافر فقال عنه « البقاعى البيتفارى بفتح الموحدة ثم تحتانية ثم فوقانية وفاء وقبل ياء النسبة راء نسبة الى بيت فار من البقاع »

ثم نقل جملا من مأثور أقواله فى التصوّف وذكر له كرامات وخوارق الى أن قال: سكن رضى الله تعالى عنه جبل الهكاّر واستوطن بالس الى أن مات بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بزاويته المنسوبة اليه وقبره بها ظاهر يزار

وذكر ابن الاثير وأبو الفداء واليافعىّ أن وفاته كانت سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومثله فى تاريخ ابن الوردىّ إلا أنه نقل أيضاً عن كتاب بهجة الاسرار لنور الدين اللخمىّ أنها كانت سنة ثمان وخمسين وأن أصله من حوران وأطنب ابن الوردىّ فيه وفى وصف زهده وتقشفه وكراماته فى كلام نقل أغلبه الشعرانى فى طبقاته. وفى مختصر تاريخ الاسلام للذهبىّ فى حوادث سنة ٥٥٧ مانصه: « وفيها مات شيخ العارفين عدىّ بن مسافر الهكارىّ الزاهد وقدقارب التسعين » وترجمه ابن الفرات فى وفيات سنة ٥٥٧ إلا أنه قال أيضاً عن وفاته « وقيل كانت وفاته فى سنة خمس وخمسين » ومثله فى مسالك الابصار لابن فضل الله ونصّ عبارته « وتوفى سنة سبع وقيل سنة خمس وخمسين وخمسمائة »

وقول الشيخ الشعرانى « واستوطن بالس الى أن مات بها » تحريف فى نسخة الطبقات الكبرى لأن بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة على مافى معجم ياقوت فأين هى من بلدة الشيخ عدىّ التى سكنها بالهكارية. والذى فى طبقاته الوسطى (لا كش) بلام فألف وكاف وكلاهما فيما ظهرلنا تحريف عن لا لش وهي الواردة فى النصين العربىّ والكردىّ من (مصحف رش) إلا أنها وردت فى بعض المواضع من النص الكردى بلفظ لايش بالمثناة التحتية بدل اللام وبه وردت أيضاً فى مقالة مجلة المقتطف عن اليزيدية والصواب أنها بلامين وبهما وردت فى نسخة تحفة الاحباب للسخاوىّ وقد ذكرها ياقوت فى معجمه بلفظ (ليلش) وقال عنها قرية فى اللِحف من أعمال شرقىّ الموصل منها الشيخ عدى بن مسافر الشافعىّ شيخ الاكراد وامامهم وولده

وفى شذرات الذهب لابن العماد ترجمة « للشيخ عدى » أثنى عليه فيها ثناء مَن ترجمه قبله وذكر تجاوز أصحابه الحدّ فى اعتقادهم به حتى زعموا أنه اذا ذكر على الاسد وقف أو على البحر سكن. والى ذلك أشار الشيخ الصدّيق بن محمد المقرى المعروف والده بالمدوخ فى وسيلته الجامعة بقوله:

بجاه عدى ذلك ابنِ مسافر به تسكن الامواج فى لجج البحر
وان قلته لليث لم يخطُ خطوة ولا الشبر من قاع ولا القاع من شبر

ووقفنا فى جزء قديم من تاريخ عندنا لم نعلم اسمه ولا اسم مؤلفه على حادثة وقعت سنة ٦٥٢ لأصحاب الشيخ عدىّ نبش فيها قبره وأحرقت عظامه، وهذا نصّ العبارة « فى هذه السنة جرت بين أصحاب الشيخ عدىّ بن مسافر وأصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة كان سببها أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدى ويكافهم مالاً على وجه المساعدة فاطلقوا ألسنتهم فيه فأرسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلوهم قتالا شديداً فانهزمت الاكراد العدوية وقتل منهم جماعة كثيرة وأسروا منهم جماعة فصلب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل وأرسل من نبش الشيخ عدياً من ضريحه وأحرق عظامه »

هذا ماظفرنا به من ترجمته وهو عندنا أصل الطريقة اليزيدية ومكوّن هذه الطائفة على ما أدّانا اليه البحث كما سيأتى تفصيله

فصل

في الشيخ حسن

ذكر اسمه في الكتاب الأسود (مصحف رش) على أنه ثاني الآلهة السبعة عندهم ويسمى أيضاً دردائيل وورد في الزيادات الملحقة منعوتاً بالبصري وأن له قبة في القباب التي حول قبر الشيخ عدي ومن نسله شيخهم الأعظم. وقد بحثنا في كتب التراجم عمن اشتهر بالحسن البصري غير التابعي المشهور فلم نعثر إلا على واحد ولكن ليست له صلة بهم ترجمه ابن تغرى بردى في المنهل الصافي فقال: «جعفر بن علي بن جعفر بن الرشيد الشيخ المسند المعمر شرف الدين الموصلي المقرى المعروف بالحسن البصري. مولده بالموصل في سنة أربع وستمائة وكان شيخاً فاضلا عارفا حافظاً للأخبار والشعر والأدب ذكره الحافظ علم الدين البرزالي وقال سمع من السهروردي كتاب العوارف بالموصل وسمع بدمشق من ابن الزبيدي وبمصر من ابن الجميزي وبالثغر من ابن رواح وتوفي بدمشق سنة ثمان وتسعين وستمائة رحمه الله. قلت وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصري التابعي المشهور المتوفى سنة عشر ومائة». انتهى

وأما الشيخ حسن المذكور في كتاب اليزيدية فلم ينعته أحد غيرهم بالبصري وهو من آل عدي بن مسافر وأحد خلفائه عليهم. وفي زمنه دب الفساد والزيغ فيهم وله ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر قال فيها عن نسبه «الحسن بن عدي ابن أبي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد شيخ الاكراد وجده أبو البركات هو أخو الشيخ عدي» وقد تقدم في نسب الشيخ عدي أنه عدي بن مسافر بن اسماعيل[1] الخ فالصواب أن يقال في نسب الشيخ

(١) هذا ما أجمع عليه المؤرخون في نسبه. وجاء في مادة (هكر) من شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي انه «عدي بن صخر بن مسافر» وعليه يصح ما قاله ابن شاكر غير أنه قول تفرد به الزبيدي مخالف للنصوص العديدة التي اطلعنا عليها

حسن « وجده أبو البركات ابن أخى الشيخ عدى » أو « وجده صخر أخو الشيخ عدى » أى جده الأعلى . وفى تحفة الاحباب للسخاوى فى ترجمة الشيخ عدى « وظهرت له مناقب ومآثر هناك الى أن كثر أصحابه وأولاد أخيه الشيخ العارف صخر بن مسافر فتوفى الشيخ عدى هناك سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتخلف بعده أخوه صخر وتفرق أولاده فى البلاد وأقبل اليهم العباد فنزل منهم بالموصل الشيخ شمس الدين الحسن بن أبى المفاخر عدى بن أبى البركات بن صخر أخى عدى بن مسافر الملقب بتاج العارفين أبى محمد شيخ الأكراد . وجده هو أخو عدى بن مسافر »

ثمّ قال ابن شاكر عن الشيخ حسن « وكان شمس الدين من رجال العالم رأياً ودهاء وله فضل وأدب وشعر وتصانيف فى التصوف وله أتباع ومريدون يبالغون فيه قال الشيخ شمس الدين الذهبى بينه و بين الشيخ عدى من الفرق كما بين القدم والفرق وقد بلغ من تعظيم العدوية له أنه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رقّ قلبه وبكى وغشى عليه فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يتشحط فى دمه فقال ما هذا فقالوا له أيش هذا الكلب حتى يُبكى سيدنا الشيخ فسكت حفظاً لدسته وحرمته . وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر فى قلعة الموصل خوفا من الأكراد لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده فخشى أن يأمرهم بأدنى اشارة فيخربوا بلاد الموصل . وفى الاكراد طوائف الى الآن يعتقدون أن الشيخ لابد أن يرجع وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه وما يعتقدون أنه قتل . وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة وله من العمر ثلاث وخمسون سنة »

وترجمه أيضاً ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب وساق نسبه كما تقدم ونعته بشيخ العدوية الأكراد وذكر عنه ما ذكره ابن شاكر ثم أورد عبارة للذهبى عدد له ولجماعته فيها منكرات وختمها بما معناه « ان كان هذا طريق الجنة فأين اذن طريق النار ؟ »

وترجمه ابن طولون الحنفى الصالحى فى ذخائر القصر فى تراجم نبلاء العصر استطراداً فى ترجمة محمد بن موسى بن محمد العدوى فذكر ما ذكره ابن شاكر فى فوات الوفيات وزاد فى آخر الترجمة أنه اختلى ست سنوات صنف فيها كتاب الجلوة لأرباب الخلوة وأنشد من شعره :

وصرت فرداً بلا ثانٍ أقوم به وأصبح الكل والأكوان تفخر بى
وكل معناىَ معناها وصورتها كصورتى وهى تدعى ابنتى وأبى

والظاهر أنه أقيم خليفة عليهم بعد أبيه عدى بن أبى البركات . أما أول خليفة عليهم بعد الشيخ عدى الكبير فالذى يعلم من عبارة السخاوى فى تحفة الأحباب المتقدم ذكرها أنه أخوه صخر واذا صح هذا فالظاهر أنه أقيم عليهم وهو فى بلدتهم بيت فار بالبقاع بالشام فانا لم نقف على أنه هاجر الى أخيه بلالش . والذى صرح به اللخمي فى بهجة الاسرار فى مناقب السيد عبد القادر الجيلى رضى الله عنه أن أول من أقيم خليفة على هذه الطائفة بعد الشيخ عدى ابن أخيه أبو البركات بن صخر بن مسافر . وقد ذكر السخاوى هجرته اليه بقوله بعد العبارة المتقدمة « وقد نزل الشيخ أبو البركات بن صخر أبو هذه الذرية عند عمه عدى ابن مسافر بالمكان المعروف بلالش فى جبل الهكارية » . ويستخلص من ترجمته فى بهجة الاسرار [1] أنه هاجر الى عمه الشيخ عدى من بيت فار من ارض بقاع العزيز الى جبل هكَّار وصحبه وخلفه بعد وفاته بزاويته بلالش وكان الشيخ عدى فى حياته يثنى عليه ويقدّمه ويقول فيه « ابو البركات ممن دُعى فى الازل وكان من السابقين الى الحضرة » ويقول فيه أيضاً « ابو البركات يخلفنى » وسكن ابو البركات بلالش الى ان مات مسناً ودفن عند عمه وقبره ظاهر يزار وتخرج عليه ولده عدى بن ابى البركات وكان مثله فى المناقب والفضائل انتهى . وسائر ما فى الترجمة مناقب وكرامات وكلمات مأثورة عنه فى التصوف .

---

(١) ترجم فى هذا الكتاب فيمن استطرد الى تراجمهم من مشايخ الصوفية

فصل

في شرف الدين

لم يذكره اليزيدية في كتابيهم كما ذكروا الشيخ حسناً ولم نقف له على ترجمة في كتب التراجم ولم نعلم من خبره إلا ما رواه ابن العبري في تاريخ مختصر الدول فقد ذكره عرضاً باسم شرف الدين محمد بن الشيخ عدى في حوادث سنة ٦٥٥ فقال « وفيها سيَّر السلطان عز الدين [١] رسولا الى خدمة هولاكو شاكياً على بايجو [٢] نوين أنه أزاحه عن ملكه . فأمر هولاكو أن يتقاسما الممالك هو وأخوه ركن الدين . فظهر عز الدين فأتى الى قونية ومضى ركن الدين مع بايجونوين الى مخيَّمه . ولخوف عز الدين من بايجونوين وجَّه مملوكه الى نواحي ملطية وخَرْتَبِرْت [٣] ليستخدم له عسكرا من الاكراد والتركمان والعرب . فوصل هذا المملوك وسيَّر في طلب شرف الدين أحمد بن بلاس من بلد الهكّار وشرف الدين محمد ابن الشيخ عدى من بلد الموصل الكرديَّين فأتياه . فأقطع ابن بلاس ملطية وابن الشيخ عدى خرتبرت » ثم قال بعد أن ذكر مقتل ابن بلاس « وأما ابن الشيخ عدى فرحل من خرتبرت ليتصل بالسلطان عز الدين فأدركه انكورك

---

(١) هو عز الدين كيكاوس بن غياث الدين من الملوك السلجوقية ببلاد الروم وكان مقرهم قونية وأخوه ركن الدين اسمه قليج أرسلان . وانظر خبر دولتهم في تاريخ ابن خلدون ج ٥ طبع بولاق

(٢) هو من امراء المغل وقوادهم وقد ورد اسمه في تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ١٧٢ ـ ١٧٤ بلفظ (بيكو) وورد في ص ٥٤٢ من هذا الجزء بالجيم بدل الكاف ولكنه حرف بلفظ (بنجو) ويقال انه توانى لما طلبه هولاكو للمسير معه الى فتح بغداد فاتهمه بالغدر والاستبداد ، فلما انقضى أمر بغداد بعث اليه من سقاه السم فمات

(٣) هي المعروفة الآن بخربوت

نوين وقتله ومن معه » انتهى . وهو كل ما علمناه من خبره . والذى نرجحه أنه ابن طاغيتهم الشيخ حسن المتقدم ذكره قبله لان الشيخ عديا لم يعقب وكان لحسن هذا ولد بهذا الاسم وهذا اللقب سيرد فى نسب زين الدين الآتى بعده فانه (زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن شمس الدين حسن) الخ على ما نقش على باب زاويته، وذكره السخاوى فى تحفة الاحباب ، ولا يبعد أن يكون شرف الدين المذكور ولى الزعامة على هذه الطائفة بعد أبيه بالموصل . والله أعلم

فصل

فى زين الدين وعز الدين

هما رجلان كبيران من آل عدىّ بن مسافر لم تذكرهما اليزيدية فى كتابيهم الجلوة والكتاب الاسود كما ذكروا الشيخ حسناً . أما زين الدين فهو كما فى تحفة الاحباب للسخاوىّ فى الكلام على تربته بالقرافة الصغرى الشيخ الصالح العارف المحقق الربانىّ شيخ مشايخ الاسلام زين الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين محمد بن حسن بن عدىّ بن أبى البركات بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى ابن الحسن بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس . ثم ساق نسبه الى معدّ بن عدنان الى أن قال : القرشىّ الأموىّ نزيل القاهرة . والذى يفيده سياق هذا النسب أنه حفيد الشيخ حسن المتقدّم ذكره غير أن نعت السخاوى له بتلك النعوت يدل على أنه كان فى نظره مرضىّ الطريقة بعيداً مما كان منطوياً عليه جدّه حسن من المنكرات . ثم ذكر أنه توفى سنة ٦٩٧ وأن القبة التى على

ضريحه وافق الفراغ من عمارتها فى ربيع الاول سنة ٧١٥[١] وانه قدم الى الشام فأكرم وأنعم عليه بامرة ثم تركها وانقطع على هيئة الملوك من اقتناء الخيول المسوّمة والجوارى والخدم والملابس وعمل الاسمطة الفاخرة ثم خاف على نفسه فترك ولده عز الدين هناك ودخل الى القاهرة وأقام بها فاكرم بها

وترجمة المقريزى فى خططه فى كلامه على الزاوية العدوية وابن فضل الله العمرى فى مسالك الابصار استطراداً فى ترجمة الشيخ عدى بن مسافر وذكرا أنه ابن أخيه[٢] وخلاصة ماقالاه عنه أنه وفد من الموصل الى الشام فأكرم وأنعم عليه بامرة كبيرة ثم تركها وانقطع فى قرية تعرف ببيت فار[٣] وانغمس فى النعم والملاذ وعاش عيشة الملوك . وحُكى ان بعض نساء الطائفة القيمُرية[٤] كانت مغراة به مطنبة فى تعظيمه متغالية فى الاعتقاد بصلاحه وأنفقت عليه أموالا جليلة وكانت غير مصغية الى من يعذلها فيه فاحتال أخصأوها عليها بأن حملوها فى قفّة وأشرفوا بها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك الا ضلالا وقالت : انما يتدلل الشيخ على ربه ! وضاعفت له الانفاق . قال ابن فضل الله «وحكى لى شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب رحمه الله قال بُعثت مع الامير الكبير علم الدين سِنجَر الدوادار ليحلّفه فى أوّل الدولة الأشرفيّة[٥] فأتيناه وهو فى قريته مثل الملك فى قلعته للتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الاطلس وآنية الذهب والفضة والغَضار الصينى وأشياء تفوت العد الى غير ذلك من الاشربة المختلفة

---

(١) الظاهر ان هذا تحريف بالنسخة فان المنقوش على باب هذه القبة سنة ٧٢٥ كما سيأتى

(٢) فى هذا تساهل لان بينه وبين جده صخر اخى الشيخ عدي اربعة آباء ولكن من كان من ذرية شخص فهو ابنه

(٣) هى قريتهم ببقاع العزيز قبل انتقالهم الى لالش بجبل هكار

(٤) القيمرية وعبر عنهم ابن فضل الله فى مسالك الابصار بالقيامرة جماعة من أعيان امراء الاكراد منسوبون الى قيمر بفتح القاف وسكون الياء وضم الميم وهى قلعة فى الجبال بين الموصل وخلاط ولاحدهم المدرسة القيمرية بدمشق وهى معروف بهذه النسبة وتسمى هذه المدرسة اليوم بمدرسة (القطط) ويلفظها عامة دمشق (القطاط) بفتح الاول والاشباع

(٥) هى دولة الاشرف خليل بن قلاوون

الالوان والاطعمة المنوعة . فلما دخلنا عليه لم يحتفل بنا وأتاه الامير علم الدين فقبل يده وهو جالس لم يقم له فبقى الدوادار قائماً قدامه يحدثه وزين الدين يسأله لاهو يجلس ولا زين الدين يقول اجلس ، ثم أمره بالجلوس فجلس على ركبتيه متأدبا بين يديه ثم لما حلّفناه أنعم علينا بجملة طائلة تقارب خمسة عشر ألف درهم .
قلت وقد كان تخلف منهم الشيخ عز الدين أميران وأُمِّر فبقى مدة أميراً بدمشق ثم بصفد ثم بدمشق ثم ترك الامرة وآثر الانقطاع وأقام بالمِزَّة وكانت الاكراد تأتيه من كل قطر بصفايا أموالها تقربا اليه ومنهم على ما حُكى من كان يجلس بين يديه . ثم انه أراد الخروج على السلطان وتبعه طوائف الاكراد من كل بلد وباعوا أموالهم بالهوان واشتروا الخيل والسلاح وآلات الحرب ووعد رجالا ممن تبعه بالنيابات الكبار ونزل بأرض اللجون وأتى السلطان خبرهم وانهم على هذا لم يؤذوا أحداً فى نفس ولا مال وانما يبيعون أموالهم بالرخص ويشترون الخيل والسلاح بالغالى فأمر تنكز نائب الشام بكشف أخبارهم وقص آثارهم وأمسك السلطان من كان بالزاوية العدوية بالقرافة ، الى أن قال « واختلفت الاخبار فقيل إنهم يريدون سلطنة مصر وقيل بل كانوا يريدون ملك اليمن . وقلق السلطان لأمرهم وأهمه الى أن أمسك تنكز نائب الشام عز الدين المذكور وأُودع الاعتقال حتى مات وفرّق الاكراد ولو لم يتداركه لأوشك أن تكون لهم نوبة » انتهى . وفى خطط المقريزى أن إمساك عز الدين كان مدة الملك الناصر محمد بن قلاوون وقال السخاوى سنة ٧٣٣

قلنا والذى ذكراه عن الشيخ زين الدين وما كان منطويا عليه من المنكرات يخالف ما نعته به السخاوى من النعوت الجليلة وكذلك حادثته مع الشهاب محمود وعلم الدين سِنْجَر وحادثة افتتان احدى القيمريّات به ذكر السخاوى أنهما وقعتا مع ولده عز الدين . واختلفت أقوالهم في عز الدين فقال المقريزى وابن فضل الله « وكان تخلف منهم الشيخ عز الدين أميران » أى تخلف بالشام فاقتصرا فى

التعريف به على جعله من الطائفة وقال السخاوى انه ابن زين الدين كما تقدم ورأيت له ترجمة فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر جاء فيها أنه ابن بنت الشيخ عدى ونصها:

« أميران عز الدين الكردى ابن بنت الشيخ عدى قدم الشام فوُلِّى بها الامرة وكان قومه يأتون اليه من كل فج ويتقربون اليه بالاموال ثم شاع أنهم يريدون الخروج على السلطان فأمسك الناصر من كان منهم بالقرافة وكتب الى تنكز بكشف أحوالهم فأرسل الى عزّ الدين المذكور فسأله عنهم فقال يريدون أن ينفردوا بالمملكة فقال وما السبب فقال هذا شىء تخيلوه فى نفوسهم فقال لم لاتمنعهم فقال هم يعتقدون فىّ وفى جميع أهل بيتى ولكن حطَّنى فى القلعة يتقلل جمعهم ففعل فتفرقوا وصاروا بعد ذلك يجيئون الى البرج الذى هو فيه محبوس فيستنجدون له وكان حبسه سنة ٧٣١ وكان حسن الشكل تامّ القدّ صبيح الوجه» انتهى. قلنا والذى ذكره السخاوى فى تحفة الاحباب وغيره من المؤرخين أن الشيخ عدىّ بن مسافر كان أعزب وأن المروىّ عند طائفته « أنه سأل الله تعالى أن يجعل ذريته فى أخيه صخر بن مسافر فاستجاب الله دعاءه » فكيف يتفق مع هذا أن يكون عز الدين ابن بنته. والظاهر أن فى نسخة الدرر الكامنة التى وقفنا عليها تحريفاً بأن يكون قوله « بن بنت الشيخ عدى » محرّفاً عن « من بيت الشيخ عدىّ » ولا سيما أن لفظ (ابن) ورد بالنسخة مرسوماً بغير ألف ويسهل تحريفه عن لفظ (من) والله أعلم

ولعلّ القارىء الكريم قد استشعر معنا من أخبار هؤلاء الزعماء أن هذه الطائفة الصوفية أخذت تتحوّل فى بعض العصور الى عصابة ثورية نزّاعة الى الملك ولولا ما صُودمت به من الملوك والامراء لكان لها شأن غير الذى كان. والظاهر أنهم كانوا يستميلون الى عقيدتهم بعض عظماء الدولة للاستعانة بهم على مآربهم

وردّ المكروه عنهم فقد ذكر ابن الجزرى [١] فى تاريخه عن الامير بدر الدين بكتوت الاقرعىّ المتوفى بدمشق سنة ٦٩٤ أنه كان ممن ينتمون اليهم وحكى عنه ظلماً وجبروتاً واعجاباً بالنفس مع تعفف عن أموال الناس وبيت المال وذكر أنه كان متولياً شدّ الشام زمن الملك الظاهر (بيبرس) وعزل ثم تولى شدّ الصحبة فى الدولة المنصورية [٢] الى أن قال « وكان ينتمى الى أصحاب الشيخ عدىّ وانتفع به العدوية رحمه الله وإيانا » . ونذكر أننا وقفنا أثناء المطالعات على بعض من كانوا ينتمون اليهم أو ينتصرون لهم ولكن فاتنا تقييدهم

---

(١) هو محمد بن ابراهيم بن الجزرى المتوفى سنة ٧٣٩ كما فى الدرر الكامنة وعندنا من تاريخه جزء مصور بالشمس فيه من سنة ٦٨٩ الى سنة ٦٩٩ . وللامير بكتوت المذكور ترجمة فى المنهل الصافى لابن تغرى بردى واخرى مختصرة فى تاريخ ابن الفرات ليس فيهما تعرض لانتمائه الى هذه الطائفة

(٢) اي دولة المنصور قلاوون كما فى المنهل الصافى

استطراد لذكر الزاوية العدوية

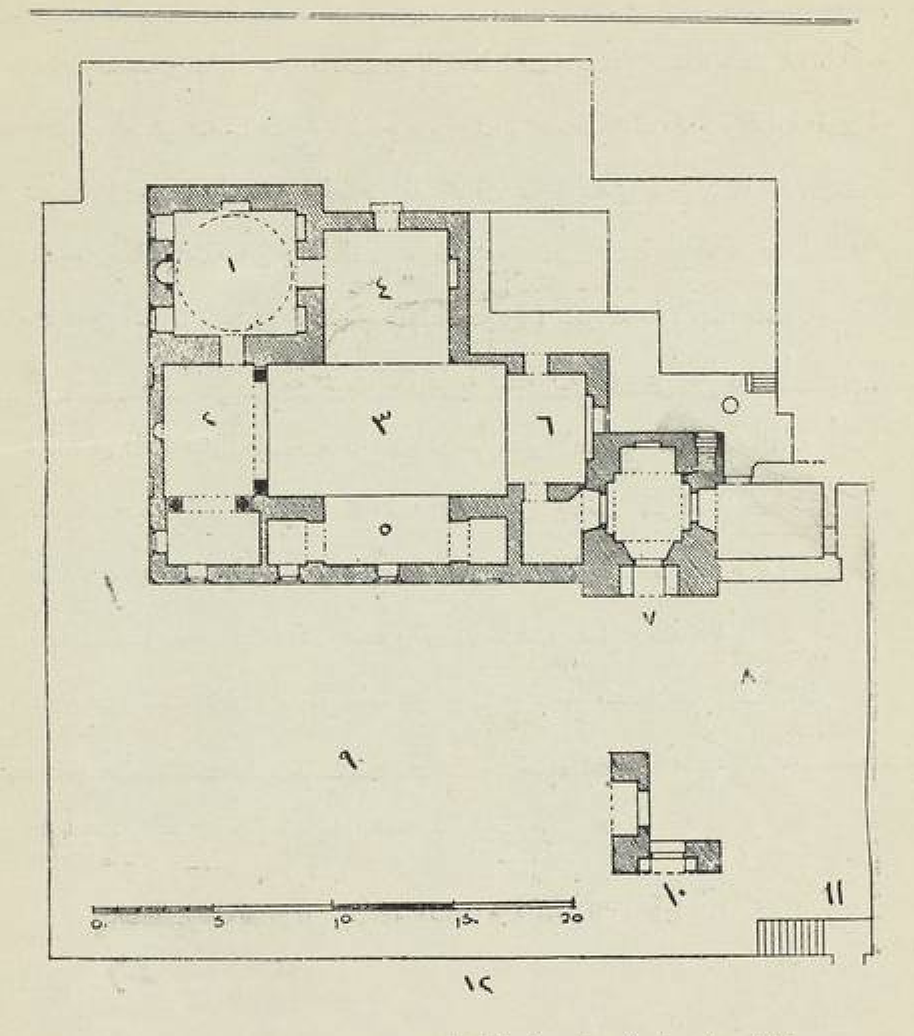
ولنرجع الى الشيخ زين الدين وبقية أخباره ، فنقول : إن الزاوية التى دفن بها بالقرافة الصغرى كانت تعرف بزاوية عدى بن مسافر [١] وبالزاوية العدوية ثم عرفت بالزاوية القادرية لسكنى جماعة من ذرية سيدى عبد القادر الجيلى بها وتوليهم شؤونها والنظر على أوقافها وتعرف الآن عند العامة بجامع سيدى عُلىّ . وقد ذكرها المقريزى فى خططه باسم الزاوية العدوية وقال انها بالقرافة تنسب الى الشيخ عدى بن مسافر ولم يتكلم عليها وانما ذكر ترجمة الشيخ عدى وخبر زين الدين وعز الدين أميران . وذكرها السخاوى فى الضوء اللامع عرضا فى ترجمة بدر الدين حسن بن محمد بن عبد القادر القادرى فقال « كان أسنّ الجماعة المقيمين بزاوية عدى بن مسافر خارج باب القرافة الصغرى المشهورة الآن بزاوية القادرية » وذكرها أيضا باختصار فى عدة مواضع من هذا الكتاب سيأتى بيانها ، وذكرها على مبارك باشا فى خططه باسم (جامع القادرية) غير أنه جعلها « داخل باب القرافة بالقرب من مسجد السيدة عائشة النبوية رضى الله عنها » وهو وهم بيِّنٌ سببه السهو فيما يظهر . ولم تزل هذه الزاوية باقية الى الآن خارج باب القرافة عن يمين السالك منه فى شارع القادرية المسمى باسمها والموصل الى قرافة الامام الشافعى

---

(١) تقدم فى ترجمة الشيخ عدي أنه مدفون بالهكارية من بلاد الموصل وانما نسبت هذه الزاوية اليه لنزول قريبه زين الدين وطائفة من اتباعه بها وقد صرح بذلك السخاوي فى كلامه على تربة زين الدين المذكور فى تحفة الاحباب فقال « ان الشيخ عدى بن مسافر لم يكن بمصر ولا بالقرافة بل هذه الذرية من اولاد أخيه صخر والشيخ عدي يعرف بالاعزب »

رضى الله عنه وبها أربعة ايوانات فى ثلاثة منها قبور سيأتى الكلام عليها وبالركن الجنوبى الغربى قبة بها ضريح الشيخ زين الدين يوسف المذكور والعامة تسميه بسيدى (عُلَىّ) بالتصغير والظاهر أنه محرف عن (عَدِى) بن مسافر فان بعض المتقدمين كان يعتقد أن هذا الضريح ضريحه بسبب نسبة الزاوية قديما اليه. وسماه على مبارك باشا فى خططه (عُلياً القادرى) تبعا للعامة لانهم ينعتونه بهذه النسبة على توهم أن الزاوية سميت بالقادرية نسبة اليه وكان علىُ على باشا أن يبين خطأهم فى ذلك تمييزاً للصحيح من المزاعم من غير الصحيح ، وتلقبه العامة أيضا بقاضى الحقيقة وتقيم له مولدا كل سنة فى شعبان وكانت تقيم له (حضرة) كل أسبوع ثم أبطلت الآن ، وقد رممت لجنة حفظ الآثار العربية هذه الزاوية وأعادت الباقى منها الى ما كان عليه وكان فى شرقيها مصلى ومئذنة وأما كن أخرى ملحقة بها زالت الآن ولم يبق منها غير باب قديم بقى منفصلا عن البناء مطلا على شارع القادرية وبينه وبين الزاوية ساحة كانت بها هذه الاماكن وقد أحيط الجميع بسور قصير حديث البناء عليه درابزين من الحديد

وهذا مصوّرها نقلناه من مجموعة هذه اللجنة بعد أن رقمنا أماكنها بأرقام لبيانها :



وهذا ايضاح ماتدل عليه هذه الارقام :

« ١ » القبة وبابها من الايوان الجنوبى ويحيط بهذا الباب من الخارج فى وجهته وعضادتيه اطار من الرخام منقوش بآيات كريمة وفى جانبيه تحت العتب عن يمين الداخل منقوش « لا إله إلا الله محمد رسول الله . لا إله إلا الله سيدى عدى ولى الله » وعن يساره « سيدى عدى الوسيلة الى الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم » وبعض كلمات أخرى ذهبت من كلا الجانبين . وفوق

هذا الباب من خارجه لوح منقوش فيه بالحفر « بسم الله الرحمن الرحيم . والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم . هذا مقام السيد الامام القدوة شيخ شيوخ الاسلام شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة فريد عصره شرفت بأقدامه مصر أوحد شيوخ المسلمين زين الدين يوسف بن الشيخ محمد بن الحسن بن الشيخ عدى ابن أبو البركات بن صخر بن مسافر الأموى نفع الله ببركاته المسلمين وذلك فى ربيع الاول سنة خمس وعشرين وسبعمائة » [1] . وبحائط القبة من الاسفل افريز بديع من قطع الرخام الملوّن وبوسطها الضريح وعليه تابوت من الخشب مكسوّ بستر أخضر مطرز بالحمرة والبياض ومكتوب عليه بالتطريز الابيض « مقام سيدي عَلِي ابن عبد القادر الكيلانى » على ماهو معروف به عند العامة وبأعلى القبة من الداخل طراز به كتابة بالقلم الجلىّ تتعذر قراءتها لارتفاعها . وكان على الضريح تابوت تاريخىّ من الخشب المصدَّف بديع النقش منقوش به نسب الشيخ وتاريخ وفاته احترق فى الحريق الذى وقع بالقبة سنة ١٣٢٥ ولكن كان من حسنات الاستاذ يوسف أحمد [2] على الآثار أنه نقل هذه الكتابة قبل الحريق وهذا نصها « هذا ضريح السيد الامام العالم العارف الشيخ زين الدين يوسف بن السيد الشيخ شرف الدين محمد بن السيد الشيخ شمس الدين الحسن بن السيد الامام الشيخ شرف الدين عدى بن أبى البركات بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى ابن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم الاموىّ قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

---

(١) هو تاريخ عمارة القبة الذي ذكره السخاوى فى تحفة الاحباب بقوله « وبناء هذه التربة والقبة التى على ضريحه من اعاجيب البناء ووافق الفراغ من العمارة فى ربيع الاول سنة خمس عشرة وسبعمائة » ولاريب فى انه تحريف فى نسخة تحفة الاحباب التى بأيدينا فانها كثيرة الاغلاط والصواب « سنة خمس وعشرين وسبعمائة » كما نقش على الباب وهو تاريخ عمارة بالقبة لاتاريخ بنائها فانها بنيت سنة وفاة الشيخ زين الدين أى سنة ٦٩٧ كما سيأتى منقولا عن المنقوش على باب الزاوية

(٢) هو البحاثة المحقق أحد المراقبين بلجنة حفظ الآثار العربية بمصر وله تآليف تشهد له بالدقة وسعة الاطلاع

انتقل الى رحمة الله يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول سنة سبع وتسعين [و] ستمئة

ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها وعفوك يامولاى أوفا[1] وأزيد
وما هي ذنوبي ان أخاف وأنت لي الهاً[2] ولي يوم الشفاعة أحمد »

انتهى . ولهذه القبة نافذتان فى الحائط الجنوبىّ نقش على احداهما من الخارج البيت الاول من هذين البيتين وعلى الثانية البيت الثانى ولكن برسم (أوفى) بالياء و (الـه) بالرفع

« ٢ » الايوان الجنوبى و به قبلة وقبر يقع شرقى باب القبة قيل لنا انه قبر السيد محمد الواقف لقب بذلك لوقفه أوقافاً على الزاوية على مايزعمون والغالب على الظن أنه القبر الذى قال عنه السخاوى فى تحفة الاحباب فى كلامه على تربة زين الدين المذكور « وبهذه التربة قبر بايوان شرقى باب القبة به الشيخ الصالح العارف بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد العدوى أحد خلفاء الشيخ الصالح زين الدين أبى المحاسن يوسف توفى فى ثالث عشرى ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة »

« ٣ » صحن الزاوية الذى بين الايوانات وهو غير مسقوف

« ٤ » الايوان الغربى وبه قبران أحدهما قيل لنا انه قبر الشيخ حسنين الغمرى والثانى قديم عليه تابوت من خشب منقوش فيه اسم المدفون به وتاريخ وفاته وهو أحد القادرية وسيأتى الكلام عليه

« ٥ » الايوان الشرقى وبه قبران قيل لنا إن أحدهما قبر الشيخ علىّ القشلان وإنه دفن فيه من نحو خمس وأربعين سنة

« ٦ » الايوان الشمالىّ وليس به شىء . وبدائر هذه الايوانات الاربعة على

---

(١) كذا بالالف فى آخره (٢) كذا بالنصب

ارتفاع قامة سورةُ يس مكتوبة بالجص بحروف بارزة فى سطر عريض به نقوش غاية فى الابداع غير أنها غير تامة

«٧» باب الزاوية وعلى وجهته لوح من الرخام مكتوب فيه بالحفر نسب الشيخ زين الدين وتاريخ وفاته و بناء القبة وهذا نصّ مافيه على ماقرأه الاستاذ يوسف احمد « أنشأ هذه القبة المباركة على ضريح السيد الامام العالم العارف المحقق امام الموحدين تاج العارفين زين العابدين أبى الشمائل الشيخ زين الدين يوسف ابن السيد الامام العالم العارف القدوة شرف الاسلام غوث الانام الشيخ شرف الدين محمد بن السيد الامام العالم العارف شيخ الحقيقة ناصر السنّة قامع البدعة .... أبى محمد شمس الدين الشيخ حسن ابن السيد الامام العالم العارف علم الابرار غوث العباد تاج الزهاد شيخ شيوخ الاسلام ابى الحسن شرف الدين عدى ابن السيد الامام العالم العارف الشيخ أبى البركات ابن صخر ابن مسافر ابن اسماعيل ابن موسى ابن مروان ابن الحسن ابن مروان ابن الحكم الأموى القرشى قدّس الله روحه ونوّر ضريحه وكان انتقاله الى دار الخلود وجوار الملك الودود فى ثانى ساعة من نهار يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول سنة سبع وتسعين وستمائة . ومما أنشده فى حال عبوره :

ذنوبى غزار لا أطيق لحصرها ... وعفوك يامولاى أوفى وأزيد
وماهى ذنوبى أن أخاف وأنت لى ... الٓه ولى يوم الشفاعة أحمد

وكان فراغ القبة فى شهر شوال سنة سبع وتسعين وستمائة » انتهى

«٨» جزء من الساحة كان به المصلى و بشماليه كانت المئذنة

«٩» جزء من الساحة كان به الميضأة والبئر و بيوت الخلاء

«١٠» الباب المنفصل عن الزاوية الآن وهو مطلّ على شارع القادرية و بأعلى وجهته لوح من الرخام به نسب الشيخ زين الدين يوسف صاحب الضريح ولـكن به بعض اختلاف فى الاسماء القديمة مع ايصاله بعد مروان الى يزيد بن معاوية

وبه اختلاف أيضا فى تاريخ الوفاة بيوم واحد فانها فيه يوم الاثنين رابع عشر ربيع الاول سنة ٦٩٧ وفيه بعد ذلك أن الابتداء فى هذا الباب كان سنة ٧٣٦ والظاهر أن هذا الباب وما كان متصلا به من الاماكن زيادات حادثة أضيفت الى الزاوية بعد بنائها وما وقع من الاختلاف فى النسب المنقوش عليه فالظاهر أنه من تخليط بعض من كان يذهب الى اتصال نسب الشيخ بيزيد . والله أعلم

«١١» سلم حديث ينزل منه الى الزاوية وساحتها لانها أصبحت منحطة عن أرض الطريق

«١٢» شارع القادرية وهو شرقى الزاوية يفصلها عنه جزء من السور القصير الحديث الذى عليه الدرابزين

ثم اعلم أن جماعة القادرية الذين نزحوا الى مصر ونزلوا بهذه الزاوية وتولوا شؤونها والنظر على أوقافها كان من عادتهم دفن موتاهم فيها كما رأيناه فى تراجم من وقفنا على تراجمهم منهم . وتلك القبور التى بالايوانات ليست إلا من بقايا قبورهم ولكنها جهلت بذهاب ما كان مكتوباً عليها أو باشتهارها بمن دفن من غيرهم فيها ولم يبق من قبورهم معروفاً الا قبر واحد وهو أحد القبرين اللذين بالايوان الغربى فان الشمالى منهما مشهور بالشيخ حسنين الغمرى والله أعلم بصحته والجنوبى عليه تابوت من الخشب مكتوب عليه بالحفر ما نصه مع المحافظة على رسم الكلمات « توفا العبد الفقير الى الله تعالى السيد محمد بن الشيخ على بن الشيخ حسين بن السيد شمس الدين محمد بن الشيخ حسام الدين شرشيق بن الشيخ عبد العزيز بن السيد الحسيب النسيب .... الفرد الحاج محيي الدين عبد القادر الكيلانى الحسنى توفا ليلة السبت سنة أربع وأربعين وثمانمائة » هكذا رأيته منقوشا على التابوت . وفى الدرر الكامنة فى ترجمة محمد بن شرشيق زيادة (محمد) بين شرشيق وعبد العزيز

ولم يذكر السخاوى فى تحفة الاحباب أسماء من دفن من القادرية بهذه الزاوية وانما أشار اليهم بقوله « وبها قبور السادة الاشراف من أولاد علم الاولياء الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلانى نفع الله تعالى ببركتهم » ولكنه ذكر ذلك فى تراجم من ترجمهم منهم بالضوء اللامع وقد استطعنا معرفة ستة منهم وهم :

(الاول) محمد بن على بن حسين بن محمد الاكحل بن شرشيق القادرى قال انه توفى بالطاعون سنة ٨٤٠ ودفن بزاوية عدى بن مسافر بالقرب من باب القرافة . ويظهر من اسمه ونسبه أنه صاحب القبر الباقى معروفاً من قبورهم بالايوان الغربى لولا الاختلاف فى الوفاة بين سنة ٨٤٠ و ٨٤٤ فليحقق . وأما جده محمد ابن شرشيق فله ترجمة فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر جاء بها أنه ولد سنة ٦٥١ وحدث بدمشق وبغداد والحيال (بالحاء المهملة والياء آخر الحروف بلدة بسنجار) وتوفى سنة ٧٣٩ ولم يذكر أنه قدم الى مصر فالظاهر أن أول القادمين اليها أحد أولاده أو حفدته . ثم قال الحافظ : وأولاده الحسام عبد العزيز والبدر حسن والعز حسين والظهير احمد ولكنه لم يترجم لاحد منهم . وله ترجمة فى المنهل الصافى لابن تغرى بردى قال فيها ان له أيضاً أولاداً آخرين

(الثانى) ابنه موسى بن محمد بن على بن حسين بن محمد بن شرشيق قال إنه توفى بالطاعون سنة ٨٤١ بعد أبيه بيسير جداً ، ودفن بزاوية عدى بن مسافر بالقرب من باب القرافة

(الثالث) ابن هذا زين العابدين محمد بن موسى بن محمد بن على شيخ الطائفة القادرية قال انه مات سنة ٨٥٥ بعد تعلل مدة طويلة وصلى عليه بمصلى المؤمنى فى محفل شهده أمير المؤمنين لصداقة كانت بينهما ثم رجعوا به الى زاوية عدى ابن مسافر محل سكناه من باب القرافة فدفن عند أبيه وجده . وذكر بعده أخاه شمس الدين محمد بن موسى بن محمد وقال إنه استقر بعده شيخاً شركة لابن عمهما

ومات سنة ٨٨٨ ولـكنه لم يذكر أنه دفن معهم بهذه الزاوية

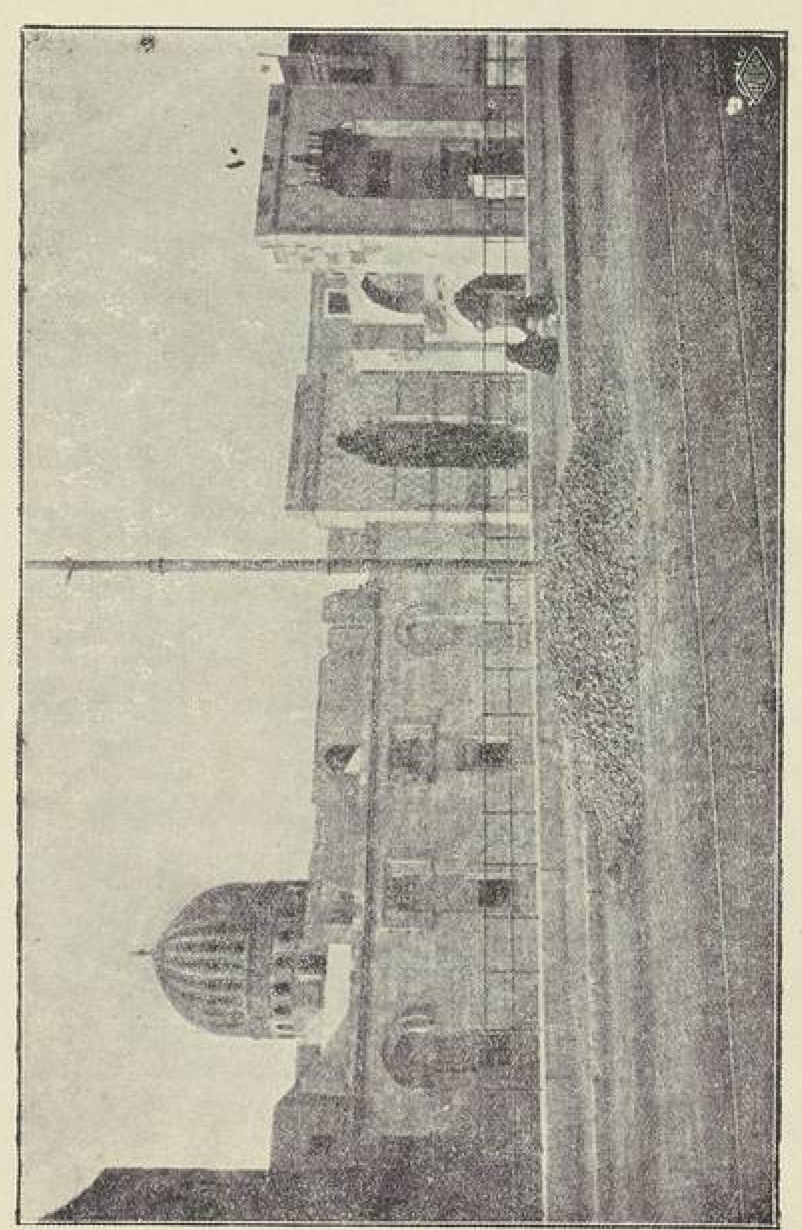
(الرابع) حسن بن محمد بن عبد القادر بن على بن محمد الاكحل بن شرشيق القادرى قال عنه : كان أسنّ الجماعة المقيمين بهذه الزاوية توفى سنة ٨٦٧ ودفن بها

(الخامس) أخوه على بن محمد بن عبد القادر شيخ القادرية قال انه توفى سنة ٨٥٣ دفن بمحل سكنه بالتربة المعروفة بعدى بن مسافر من القرافة الصغرى . وترجمه أيضاً فى وَفيات هذه السنة من التبر المسبوك وقال انه دفن بهذه التربة وكانت محل سكنه

(السادس) ابن هذا عبد القادر بن علىّ بن محمد بن عبد القادر بن علىّ بن محمد بن شرشيق قال انه توفى سنة ٨٧٩ ودفن بزاوية عدى بن مسافر محلّ سكن بنى عمّه من القرافة

هؤلاء من استطعنا معرفتهم وقد يكون ذكر غيرهم ففاتنا تقييدهم . وقد بقى نظر هذه الزاوية بيد هذه السلالة الى عهد قريب حتى شرعت لجنة حفظ الآثار العربية فى ترميمها بعد الحريق الذى وقع بالقبة فأضيف نظرها الى ديوان الاوقاف وبالزاوية الآن عجوز من الصالحات تزعم أنها من بقايا هؤلاء القادريين تقوم بخدمتها وتنظيفها هى وابنها وهو المقيد بهذه الخدمة فى ديوان الأوقاف ويسكنان فى دُوَيْرة ملحقة بالزاوية

وقد أطلنا بهذا الاستطراد حيث لم نجد بدا من الاطالة لأنا لم نر من حقق أمر هذه الزاوية بمثل هذا التفصيل



صورة الزاوية بعد الترميم . والباب الذى عليه الرقم (١٠) هو الباب المنفصل عن البناء

فصــل

في جماعة آخرين من آل عدي بن مسافر

عثرنا عليهم مفرّقين في كتب التراجم وليس لأكثرهم علاقة بهذه النحلة ولكنا آثرنا ذكر ملخص تراجمهم توفية لأخبار هذه الأسرة وللاعلام بأن بعض أفرادها لم يكن يمتّ اليها إلا بصلة النسب لا المعتقد

(أولهم) أحمد بن رجب بن محمد بن عثمان بن جميل بن محمد بن احمد بن عثمان ابن سعادة بن عيسى بن موسى بن أبي البركات بن عدي بن مسافر . هكذا ساق نسبه السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة ولده ابراهيم وقوله « ابن عدي بن مسافر » خطأ إما ممن نقل عنه هذا النسب أو من ناسخ نسخة الضوء والصواب أن أبا البركات « ابن أخي عديّ بن مسافر » واسم أبيه صخر بن مسافر كما تقدّم . وكان احمد هذا من البقاع ثم سكن دمشق ومات في فتنة التتار سنة ٨٠٣

(الثاني) ابنه ابراهيم بن احمد بن رجب ويعرف بابن الزهريّ لكونه سبط الشهاب الزهريّ بل يجتمع معه في (أحمد بن عثمان) أحد الجدود ولد سنة ٧٧٧ واشتغل قليلا وولي قضاء صيدا وكتابة سرّ صفد وقضائها وغير ذلك ومات سنة ٨٤٠ وكان جيّد العقل ولم يكن به عيب أعظم من قلّة العلم . كذا في الضوء اللامع

(الثالث) ابن هذا احمد بن ابراهيم بن احمد بن رجب ويعرف أيضاً بابن الزهريّ ولد سنة ٨٠٦ ببقاع العزيز وانتقل مع والده الى دمشق فنشأ بها وأخذ عن كثيرين ثمّ سافر الى القاهرة وناب في القضاء بها وباشر القضاء في عدّة أماكن كالرملة وحماة وطرابلس وغزّة وحلب فلم تحمد سيرته ومات سنة ٨٧٨ بلا عقب . عن الضوء اللامع أيضاً

(الرابع) الشهاب الزهرىّ جدّ ابراهيم بن احمد بن رجب لأمه وقد تقدّم قول السخاوىّ انه يجتمع معه أيضاً فى (احمد بن عثمان) وعثمان هذا هو ابن سعادة بن عيسى بن موسى بن أبى البركات بن صخر بن مسافر . ولم يترجمه السخاوىّ فى الضوء وانما ترجم أحد المشهورين بالشهاب ابن الزهرىّ وهو احمد بن عبد الوهاب ابن احمد واقتصر فى سلسلة نسبه على هذه الاسماء وقال إنه مات سنة ٨٣٣ ويبعد على هذا أن يكون جدًا لابراهيم بن احمد . وفى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ترجمة لاحمد بن صالح بن احمد بن خطّاب البقاعىّ شهاب الدين المعروف بالزهرىّ المتوفى بدمشق سنة ٧٩٥ فيحتمل أن يكون إيّاه

(الخامس) أحمد بن محمود بن عبد السلام بن محمود خطيب صَرَفَنْدُ العدوىّ من ذرية أبى البركات بن صخر بن مسافر البقاعىّ البَيْتفارىّ نسبة الى بيت فار قرية الشيخ عدىّ بالبقاع . ترجمه البقاعىّ فى كتابيه عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والاقران ومختصره عنوان العنوان ، فذكر أنه ولد سنة ٧٨٢ وتوفّى بدمشق سنة ٨٦٨ وساق بعض أخباره وأسماء من أخذ عنهم . وله ترجمة فى الضوء اللامع للسخاوىّ أيضاً

(السادس) ابنه محمد بن أحمد بن محمود بن عبد السلام العدوىّ الدمشقىّ ترجمه السخاوىّ فى الضوء وقال ولد سنة ستّ أو سبع وثمانى مائة وكان من وجوه الناس وأعيانهم ونظم الشعر وولّى نظر قلعة دمشق مدّة ثم أعرض عنها بل عرض عليه غيرها فأبى ومات سنة ٨٧٤

وليس فى أخبار هؤلاء الستة مايشعر بنزوع الى نزعة صوفية حميدة أو غير حميدة فالظاهر أنهم كانوا بعيدين عن الطريقة العدوية وما طرأ عليها

(السابع) شمس الدين محمد بن موسى بن محمد العدوىّ نسبة الى آل عدىّ بن مسافر من قبل جدّه لامه وكان من علماء القرن العاشر . ترجمه ابن طولون فى ذخائر القصر فذكر أنه كان أحد العدول القاطنين بمحلة الجسر الابيض من صالحية

دمشق ثم قال « لبس منى خرقة التصوّف العدوية وقلت له لبستها عن جماعة من فضلاء عصرى ونبهاء دهرى » وساق سلسلة هذه الخرقة الى الشيخ عدى بن مسافر ثم ذكر مَنْ قبله الى النبى ﷺ كعادة أصحاب الطرق فى أسانيدهم . قلنا ويعلم من انتماء مثل ابن طولون الى هذه الطريقة أنها حُفظت عند بعض الصوفية صافية خالية مما أصابها من طائفة الشيخ عدىّ حتى بعدوا بها عنه بل وعن الاسلام

وبعد فلنعد الى ماقصدناه من بيان منشأ هذه النحلة وتكوين هذه الطائفة بعد أن أتينا على ما استطعنا الوصول اليه من أخبار الشيخ عدىّ وأخبار آله

فصل

فى منشأ نحلتهم وتكوين طائفتهم

لايخفى أن الغالب فى كثير من النحل والمذاهب أن يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعين اليها اما بالابتداع فيها أو بتغيير النصوص أو بتأويلها على حسب ما توحيه الآراء وتزينه الأهواء . والشواهد على ذلك كثيرة تكاد لظهورها تُحسُّ وتتقرّاها الأيدى باللمس . غير أن التغيير يختلف قلةً وكثرة تبعاً لاميال المهيمنين على المذهب وأغراضهم واستعداد نفوس متّبعيهم . وهو عين ما طرأ على مذهب اليزيدية فانهم لم يكونوا فى مبدإ أمرهم سوى طائفة من الصوفية لهم طريق خاص كالحال فى سائر طوائف القوم غير أنهم غلَوا فى شيخهم غلوا تجاوز الحد وأدى الى قولهم فيه بمالا يوافق شرعاً ولاعقلا ثم قام فيهم رؤساء السوء الطالبون للحطام من طريق الرئاسة فتوسّعوا فى مذهبهم وأدخلوا فيه ما اقتضته مصلحتهم ووافق أهواءهم وما زالوا ينقصون منه ويزيدون فيه قرناً بعد قرن حتى خرجوا من الاسلام جملةً

ولم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر فى التاريخ قبل القرن السادس حتى اشتهر الشيخ عدىّ بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة وتسامع به الناس فقصدوه من الأطراف للاسترشاد ثم انتقل الى جبال هكار موطن الأكراد فتبعه منهم خلق كثير اتّخذ منهم المريدين وأحدث الطريقة العدويّة كما مرّ بك فى أخباره . ولم يكن على شىء مريب فى طريقته والاّ لما أثنى عليه كلّ الذين كتبوا عنه وحسبنا أن الامام احمد بن تيميّة المشهور بتشدّده لم يذكره إلاّ بالخير فى رسالة له سيأتى شىء منها . وانما بدأ فيهم الزيغ بعد موته فى رئاسة الشيخ حسن عليهم أو قبله بقليل وقد تقدّم أنه كان لا يهتم إلا بحفظ ناموسه مع انطوائه على منكرات أخذها عليه الذهبى وغيره . ولما فشا فيهم الانحراف وشاع عنهم كتب اليهم الامام ابن تيميّة الرسالة العدويّة التى أشرنا اليها وهى طويلة بناها على النصح والارشاد الى طريق السنة والحضّ على التمسك بها وتعرّض فيها لما كانوا عليه فى زمنه فحذّرهم من البدع والغلوّ فى المشايخ كما غلوا فى الشيخ عدىّ . ومن قوله فى هذا الصدد « وفى زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوا فى الشيخ عدىّ وفى يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدىّ الكبير قدّس الله روحه فانّ طريقته كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله »

فيتضح من هذا ومما تقدّمه أصل منشإ هذه الطائفة وأنها كانت تسمّى فى أوّل الأمر بالعدوية نسبة الى شيخها أما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها والظاهر أنها حدثت فى القرون الاخيرة ولعلّ موالاة البحث تكشف عنها فيما بعد

فصل

في منشا اعتقادهم في يزيد

تولَّى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهة من كثير من المسلمين ثم وقعت فى زمنه كوائن كقتل الامام الحسين عليه السلام والعدوان على أهل المدينة ونقلت عنه أمور من الاستهانة بالدين والاستهتار بالشراب أكثرت فيه القال والقيل، وتسبب عن ذلك تشعب الآراء فيه فذهبت الشيعة فيه مذهباً معروفا وافترق أهل السنة فنهم من غالى فى بغضه وأجاز لعنه ومنهم من اقتصد ومنهم من خالف وحسّن الظن وكان من هؤلاء الشيخ عدى بن مسافر فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها رأيناه يقول فيها « وانّ يزيد بن معاوية رضى الله عنه إمام وابن إمام ولى الخلافة وجاهد فى سبيل الله ونقل عنه العلم الشريف والحديث وأنه برىء مما طعن فيه الروافض من أجل قتل الحسين رضي الله عنه وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيه » . فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية فى يزيد فانهم تولّوه أوّلا تبعاً لرأى شيخهم ثم جروا فيه على ماجروا عليه من الغلوّ فى غيره فجعلوه وليّاً ثم نبياً وما زالوا به حتى اتخذوه آلها من الآلهة السبعة حين تمادوا فى الضلال واستغرقوا فى السخافات والأوهام

وقد تعرض لذلك الامام ابن تيمية فى الرسالة العدوية ولم يكونوا بلغوا به فى زمنه غير مرتبة النبوّة فقال « اعتقد بعضهم أنه كان من الانبياء ويقولون من وقف فى يزيد وقفه الله على نار جهنم ويروون عن الشيخ حسن بن عدىّ أنه كان كذا وكذا وليّاً وقفوا على النار لقولهم فى يزيد » وقد أطال فى هذا الموضوع وبيّن افتراق الناس فيه بين محبّ ومبغض وما نشأ عن تمسك كلّ فريق برأيه

من المغالاة حتى جعله بعضهم كافراً زنديقاً والبعض من أئمة الهدى وكبار الصلحاء بل الاولياء وذكر أن منشأ الاعتقاد بصلاحه كراهة بعض أهل السنة للعنه فظن قوم ممن يتسنن أن ذلك بُنى على صلاحه فاعتقدوه. ثم بيّن لهم خطأ الفريقين ونصحهم باتباع الاولى وهو الاقتصار فيه على أن لا يُسبّ ولا يُحبّ

فصل

فى منشإ اعتقادهم فى الشيطان

ليس فى عقيدة الشيخ عدىّ ما يخالف الأصول المعروفة فى عقائد أهل السنة والجماعة وقد تصفحناها فلم نشتمّ منها رائحة رأى فى الشيطان يُخرِج اعتقاد اليزيدية عليه بل رأيناه فيها بالعكس يكثر من لعنه وينحى على من يزعم أنّ الخير من الله تعالى والشرّ من ابليس وعلى من تغالوْا فقالوا إرادة ابليس فوق إرادته تعالى. فترى من هذا أن مذهبهم فى الشيطان غير مبنىّ على قول لشيخهم كما بُنى مذهبهم فى يزيد بل هم فوق ذلك مخالفون ومضادّون لرأيه فيه ولم يشر الامام ابن تيميّة فى الرسالة العدويّة الى شىء من ذلك فالظاهر أنهم جنحوا الى هذا الرأى بعد زمنه ولعلّه نشأ من أحد من تولّى زعامتهم من المشايخ. واليك ما ظهر لنا بعد ذلك :

قد تقدم أن اليزيدية لم يكونوا إلا طائفة من الصوفية ثم صاروا من غلاتهم وما زالوا يتمادون فى الغىّ حتى باينوا جميع الفرق الاسلامية وخرجوا من الاسلام جملة. ولا يخفى أن لغلاة الصوفية من الآراء الشاذّة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهره ينطقون بها فى أحوال تعرض لهم يسمونها بالغلوّ أو الشطح أو غير ذلك ويحملها بعضهم على خلاف ظاهرها بضروب من التأويل ليس من موضوعنا

الخوض فيها . وقد أشار أبو حفص عمرو بن محمد السهروردى فى عوارف المعارف عند كلامه على الخلوة الى ما يقع لبعض الصوفية من الزيغ وذكر أن ما يفتح به على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعده وغروره وحماقته وأنه لا يزال حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والاحكام الى آخر ما قال

ومن تلك الآراء ما ذهب اليه بعضهم من التعصّب لابليس وتبرير عمله فى عدم السجود لآدم عليه السلام بل نُسب هذا القول لبعض كبارهم ومنه ما رواه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة حيث قال :

« وكان أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالى الواعظ أخو أبى حامد محمد بن محمد الغزالى الفقيه الشافعى قاصًا لطيفا وواعظا مفوّها وهو من خراسان من مدينة طوس قدم بغداد ووعظ بها وسلك فى وعظه مسلكا منكرا لأنه كان يتعصّب لابليس ويقول انه سيّد الموحدين . وقال يوما على المنبر : من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيده فأبى

ولست بضارع إلا اليكم وأمّا غيركم حاشا وكلا

وقال مرة أخرى لمّا قال له موسى أرنى فقال لن فقال هذا شغلك تصطفى آدم ثم تسوّد وجهه وتخرجه من الجنة وتدعونى الى الطور ثم تشمت بى الأعداء هذا عملك بالاحباب فكيف تصنع بالاعداء . وقال مرة أخرى وقد ذكر ابليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أن أظافر القضاء اذا حكّت أدمت وأنّ قسىّ القدر اذا رمت أصمت . ثم قال لسان آدم ينشد فى قصته وقصةً إبليس :

وكنت وليلى فى صعود من الهوى فلمّا توافينا ثبتُّ وزلّتِ

وقال مرة أخرى التقى موسى وابليس عند عقبة الطور فقال موسى يا ابليس لمَ لمْ تسجد لآدم عليه السلام فقال كلا ما كنت أسجد لبشر كيف أوحّده ثم

ألتفتُ الى غيره ولكنك أنت ياموسى سألت رؤيته ثم نظرت الى الجبل فأنا أصدق منك فى التوحيد . وكان هذا النمط فى كلامه ينفق على أهل بغداد وصار له بينهم صيت مشهور واسم كبير » الى أن قال « وهذا نوع تعرفه الصوفيّة بالغلوّ والشطح ، ويروى عن أبى يزيد البسطامىّ منه كثير » انتهى (١)

بل قد اشتطّ بعض المتكلمين كالنَظَّام فزعموا أنه تعالى لايقدر على شيء من الشرّ وأنّ ابليس يقدر على الخير والشرّ ذكر ذلك ابن الجوزى فى كتابه تفليس ابليس . فمن مثل هذه المقالات نشأ الاعتقاد فى الشيطان عند اليزيدية والراجح أن أحد شيوخهم أولع به فشاع بينهم وزادوا فيه مازادوه

أما تسميتهم له بطاووس ملك وقولهم فى (مصحف رش) أى الكتاب الأسود : أول يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد وخلق فيه ملكاً اسمه عزازئيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع ؛ فله أصل أيضاً وهو مايروى فى قصص الأنبياء وبعض التفاسير من أن ابليس كان يسمّى فى السماء السابعة بعزازئيل وأنه كان مجتهداً فى العبادة حتى لم يترك من السماوات والأرضين موضع شبر إلا سجد فيه فسمّى لذلك طاووس الملائكة وأنه كان سيّد الكَرُوبيّن والروحانيين ورئيس خزنة الجنة

---

(١) نقل سبط ابن الجوزى عن أبى الفتح أحمد الغزالى أمثال هذه الاقوال فى مرآة الزمان عند ذكر وفاته سنة ٥٢٠ ثم حكى عن جده الامام ابن الجوزى تعجبه من هذا الهذيان وكيف نفق فى بغداد وهى دار العلم

النتيجة

فتبين مما تقدم أن تكوين هذه الطائفه كان على يد الشيخ عدى بن مسافر فى القرن السادس وأنها سميت بالعدوية نسبة اليه ثم تسمت بعد ذلك باليزيدية وان منشأ اعتقادهم فى يزيد بن معاوية من شيخهم هذا فلا صلة له بيزيد بن أبى أنيسة ولا بنحلته كما توهمه بعض الباحثين . وان طريقتهم تقلبت بعد ذلك فى أطوار فبدأ فيها الانحراف فى زمن الشيخ حسن بن عدى بن أبى البركات ثم توالى عليها النقص والزيادة والتغيير والتبديل قرنا بعد قرن حتى وصلت الى ما هى عليه الآن . ولعل فيما ذكرناه ما يزيل الالتباس ويوضح الغموض الذى تكتنف هذه النحلة الغريبة ومنتحليها فترك الناس فى عمياء من أمرهم حقبا طويلة .

والله أعلم

فهرس

صفحة

للمؤلف :

نظرة تاريخية

فى حدوث وانتشار المـــذاهب الأربعة

الحنفى ، والمالكى ، والشافعى ، والحنبلى

٤٨ صفحة — ثمنه قرشان

تاريخ العلم العثمانى

وتحقيق أصل لونه ومنشأ الهلال والنجم فيه والادوار التى تقلب فيها

واشتقاق العَلَم المصرى منه

١٨ صفحة كبيرة — مزين بالصور — ثمنه قرشان

قبر الامام السيوطى ـ و تحقيق موضعه

٢٤ صفحة كبيرة — مزين بالصور — ثمنه قرشان

تصحيح القاموس المحيط

فيه التنبيه على مائة وثمانين غلطة وقعت فى اجود طبعات بولاق لهذا القاموس

يتضمن تحقيقات وفوائد لغوية وأدبية عظيمة

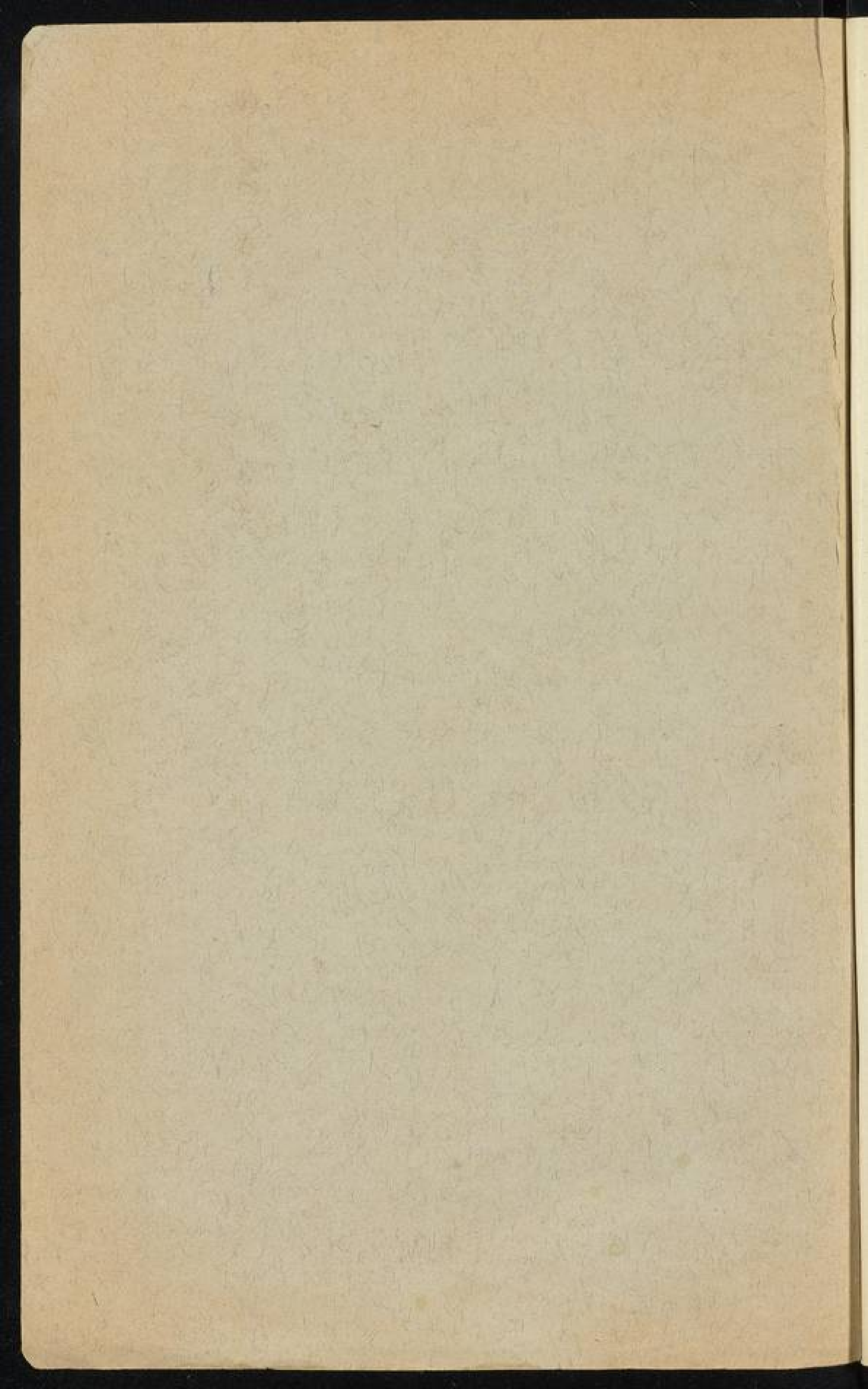
٤٩ صفحة — ثمنه ٤ قروش

تصحيح لسان العرب

القسم الثانى ، مع حواشٍ على القسم الاول وعلى ما كتبه اليازجى عن أغلاط هذا

الـكتاب فى مجلة الضياء ، وفى اوهام وقعت للمصنف

٤٨ صفحة بالقطع الكامل — ثمنه ٥ قروش



بعض مطبوعات

المطبعة السلفية - بمصر

ص

١٥ البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (١٦ جزءا صدر منها ٣) ثمن كل جزء

١٠ خزانة الادب الكبرى للبغدادي (١٠ أجزاء صدر منها ٤) اشتراك كل جزء

١٨٠ مجموعة صحيفة (الفتح) الاسلامية . السنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة

٣ تاريخ الادب العربي (أوجز وأجمع كتاب درسي)

٣ ذكرى موقعة حطين (أم ماقيل فيها)

١٫٥ طائفة القاديانية للعلامة السيد محمد الخضر حسين

٥ الملاحن في اللغة لابن دريد

٣ الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (مجلدا ومشكولا)

٢ تقويمنا الشمسي . بقلم محب الدين الخطيب

٢ جب يوسف الصديق وقبره . تحقيق الاستاذ عبدالله مخلص

٨ مذكرات غليوم الثاني

٣ اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب . بقلم محب الدين الخطيب

٢ الازهر : ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه « «

٣ الدعوة الى الاصلاح للعلامة السيد محمد الخضر حسين

٢ الاسلام والاصلاح . تقرير المستر ويلفرد وود الى وزير الخارجية البريطانية

٨ مقدمة الحضارات الاولى لجوستاف لوبون

٢ حياة سقراط للسيد محمد المكي الناصري

٨ المؤتمر العربي الاول سنة ١٣٣١ (١٩١٣)

٥ اعمال الوفد السوري امام جمعية الامم وغيرها

١٫٥ ارشاد الامة الى احكام الحكم بين اهل الذمة للعلامة الشيخ بخيت

١٥ المنتقى من محاضرات الشبان المسلمين (جزءان)

٤ ابن رشيق . بقلم العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي

٢ الحنين الى الاوطان للجاحظ (طبعة جديدة)

١ أشعة من شمس السيرة النبوية للرفاعي

٥ دون كيخوتي (او دون كيشوت) مصور

٣ جزاء الخيانة (رواية تمثيلية عربية) تأليف السيدة لبيبة هاشم

٢ خطبة في أسباب الانشقاق بين السعديين والعدليين لعبد العزيز باشا فهمي

٢ عاصفة في مراكش بقلم مسلم بربري

٨ الميسر والقداح لابن قتيبة

٢ نقد علمي لكتاب الاسلام واصول الحكم للعلامة السيد محمد الطاهر بن عاشور

٤ منطق المشرقيين للرئيس ابن سينا

٢ الجواهر الكلامية في ايضاح العقيدة الاسلامية للعلامة الشيخ طاهر الجزائري

٥ الغارة على العالم الاسلامي

٥ السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية للاستاذ خلاف

١٠ كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي

٣ نظام النفقات في الشريعة الاسلامية للاستاذ الشيخ احمد ابراهيم

٦ حياة الامام ابي حنيفة للاستاذ الشيخ سيد عفيفي المحامي